

عندما يجمع
الخيال بالواقع

عندما يجتمع الخيال بالواقع
ريمان لعمرة
رواية

رقم الإيداع: 2023/5675
ترقيم دولي ISBN: 978-977-86675-56-6

الطبعة الأولى: 2023

تصميم داخلي ومراجعة لغوية: فريق رنة للنشر والتوزيع والطباعة
حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ©
لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

رنة للنشر والتوزيع والطباعة
rannapublishing@gmail.com
جمهورية مصر العربية

عندما يجتمع
الخيال بالواقع

رواية

ريمان لعمرة



عوالم مختلفة

في مكان مجهول الموقع داخله جدران رمادية هشّة ومشوهة بها كتابات باهتة مر عليها الزمن فأصبحت غير واضحة بجانبها نبات قصير تظهر عليه قطرات مياه لم تعطه أية نظارة ليبدو أكثر اخضرارا، أزهار لم يساعدها الزمن لكي تتفتح كأنها تقول في نفسها حظي سيء ما كان علي أن أختار مكانا كهذا لا نمو فيه لكن الخالق أراد ذلك ومشية الله دائما فوق جميع المخلوقات، أنظر إلى ذلك المكان المجهول لا أعرف أين أنا، نور أراه بعيدا أو اصل النظر إليه لعله يقترب مني لكن لا شيء يتغير، هل حقا مقدر لي أن أظل هنا للأبد؟ لكن لماذا أنا هنا؟ حتى مكاني لا أعرف اسمه أنظر ل لأسفل أرى أشياء تتغير كلما تحركت يمينا وشمالا أنظر للأعلى أرى نفسي قريبة من الغيوم، أعيش وحيدة وأحيانا أفكر هل يوجد شخص مثلي في مكان ما؟ خلدت للنوم وفي قلبي أن أستيقظ على فجر جديد لا مثل له يريحني من هذا الهم وأن أجد جوابا يعطي تفسيراً واضحاً لكل شيء.

أغمضت عيني فإذا بضجيج قريب أزعجني، غيرت مكاني حاولت أن أبتعد عنه هدأ قليلاً ثم عاد ليزعجني ذهبت بعيداً أكثر هذه المرة لم أعد أستمع إليه لكنه عاد مرة أخرى ليزعجني أكثر وأكثر ذهبت باتجاه ذلك الضجيج لأتفقد ما الذي يجري وجدت ما أدهشني وما لم أستوعبه وما لم أتخيله في بالي لم أكن أعلم بأني سأجد نفسي في مكان به بنايات عالية جدا وبشر في كل مكان

سيارات أحجامها مختلفة ووجوه لم أر مثلها من قبل أمكنة بها تجمعات، الناس يشترتون الطعام وأمكنة أخرى بها موسيقى صاخبة، مجموعة من الشباب يرقصون ويغنون وأمكنة بها صغار يمرحون ويركضون، في وهلة شعرت بشيء عميق جدا لم أجد له نفسي را، مشيت معهم في الطريق لاكتشاف هذا العالم أمعن النظر إلى مكان يعج بالناس يتناولون الطعام اللذيذ دخلت إليه أردت أن أتذوق القليل من ذلك لكن البعض انزعج مني تمتم بكلام غير مفهوم، ابتعدت عنهم لكنني استمررت في النظر إليهم بعضهم يأكل بعشوائية والبعض الآخر يضحك بهستيريا وبعضهم يبكي والبعض الآخر يتشاجر، انصرفت خارجة أصبحت السماء غائمة بدأت تمطر وبدأ الجميع بالركض ليختبئ، أوقفت تجوالي وجلست داخل مكان مغطى، سرحت بنظري بعيدا بعد وهلة شعرت بالنعاس أغمضت عيني تحت صوت المطر والرعد.

بعد استيقاظي، وجدت نفسي في مكان مغلق بداخله ملابس وأحذية منتشرة هنا وهناك، نافذة مفتوحة عليها ستارة تلعب مع الرياح لعبة الذهاب والإياب، بعد جلوسي لمدة قليلة سمعت خشخشة من الباب المجاور أردت أن أختلس النظر سرعان ما خرج نظري إلي لوهلة ثم ذهب وأغلق باب الغرفة ترددت في الخروج وترددت أيضا في البقاء شعرت أني محاصرة ولا أعرف كيف أفكر في الحل، هل أذهب إلى ذلك الشخص وأخبره بأني وصلت إلى هنا بعد أن نمت في مكان آخر؟ هل سيصدقني؟ أم علي البقاء إلى أن يأتي ليطردي؟ فكرت مطولا استجمعت قواي

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 9

النفسية والذهنية فتحت الباب فصدمت بوقوفه أمامي، هل كان ينتظري أن أخرج؟ أم هو أيضا كان مترددا لدخوله الغرفة؟ نعم هذا المكان اسمه الغرفة كيف لم أفكر في ذلك، لا أريد أن أشوش ذهني فقط أردت أن أعرف من هو وما ستؤول إليه الأحداث.

عدت إلى مكاني بجانب السرير ثم اتجه نحو النافذة وقفينظر إلى السماء ثم قال فجأة:

- السماء صافية اليوم والجو جميل هذا الصباح، الغيوم بيضاء إنه فصل الربيع زقزقة العصافير في كل مكان ما أجمل هذا اليوم نظرت إليه مطولا ثم أجبته:

- لكن البارحة كان غائما وصوت الرعد والمطر كان قويا.

نظر إلي ثم قال:

- حقا؟ كنت في مكان آخر لا أذكر ذلك، صمت قليلا ثم

سألني بصوت هادئ:

- من أنت؟ كيف وصلت إلى هنا؟ أجبته:

- لا أعرف كيف وصلت إلى هنا ولا أعرف حتى كيف

وصلت إلى هذا العالم. ابتسم ثم قال:

- العالم هو أيضا يتساءل لماذا يحملنا في بطنه لعقود فهو

أيضا ينتظر إجابنا لأنه تعب من حملنا. قلت له:

- أنت تعرف عالما واحدا هذا الذي تعيش فيه أما أنا أتيت من

عالم آخر لا يوجد فيه بشر ولا حيوان أعرف أن الله خالق هذا

الكون لكن هناك شيء استثنائي حول ما يحصل لي. قال:

- كل الناس ترى ما يحصل لها استثنائيا، إذا لا شيء استثنائي، في الواقع نبحث عن الاستثنائية في كل شيء حتى في العمل نجده هو الهدف الأفضل الذي سيجعلنا سعداء لكن عند وصولنا إلى هذا الهدف تختفي تلك الاستثنائية الوهمية تدريجيا ثم نغير الوجهة إلى شيء آخر هو الأصدقاء، تحاول أن تغطي على همك أثناء وجودك معهم لتبحث عن السعادة بوجودهم لكن تدريجيا ترى أن همهم أكبر من همك بعد ذلك تختفي الاستثنائية الوهمية ويبدأ رويدا رويدا، تحاول أن تغوص في ملذات الحياة للبحث عما هو استثنائي لكن ذلك الوهم الذي يصنعه دماغك واعتقادك بأن ركضك وراء ذلك الاستثناء المرتبط بما هو مادي هو خائن وله تركيبة نفاقية لا تكثرت لك بل تتغذى على سذاجتك وغبائك لكي تكبر وتصبح أقوى بامتلاكك وتضليلك وإبعادك عن نفسك الحقيقية.

نظر إلي مطولا ثم انصرف خارجا، بقيت داخل الغرفة الليل بطوله وقفت في المكان الذي كان واقفا فيه بجانب النافذة نظرت إلى السماء فكرت ب وجودي هنا وما شعرت به عند وصولي إلى هذا العالم، وقعت في حيرة وضياح مرة أخرى، رجعت بي ذاكرتي إلى المكان الذي كنت فيه وحيدة لا أحد معي، هل كان ذلك حقيقيا؟ في اليوم التالي، تجرأت وخرجت من الغرفة لا أعرف ما شعرت به حينها عندما وجدته جالسا يتناول الطعام فاجأني عندما شعر بوجودي خلفه دعاني إلى المائدة قدم لي صحن فيه خبز وزيتون وكأس حليب جلست أمامه أنظر إليه

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 11

بتعجب وهو يتناول طعامه بطريقة مريحة وهادئة. ابتسم ثم قال لي:

- كلي، سيرد الطعام وإلا سوف آكله بدلا منك لأنني لم أشبع بعد، أجبته:

- غريب أمرك كنت البارحة غاضبا تعيسا حزينا ما سبب هذا التغيير قال:

- لأنني البارحة كنت جائعا لم أجد شيئا لتناوله لكن اليوم هأنا أملاً بطني، اقترب مني وقال بهمس:
- اممم الطعام لذيذ.

ضحكت، وأنا أنظر إلى تقاسيم وجهه البشوش ثم وضعت لقمة في فمي حقا كان الطعام لذيذا.

قرر الخروج للتنزه انصرف دون أن يقول شيئا ترك المنزل في فوضى كل شيء مبعثر كل زاوية في منزله غير منظمة وقفت وسط تلك الفوضى فإذا بي أسمع باب المنزل يفتح مجددا لأجده يطل برأسه يسألني:

- هل تريدان الخروج للتنزه معي؟ حركت رأسي بإيجاب ثم خرجنا.

اقترح أن نتمشى إلى متنزه ليس ببعيد عن المنزل، ونحن في طريقنا إليه أعيد النظر إلى تلك العمارات الشاهقة والسيارات السريعة والضجيج الذي لا يعرف وقت الصمت وإلى الأصوات العالية من أماكن بعيدة وإلى الناس المتهورة في كلامها وأكلها

وشربها وحركتها وصلنا إلى المنتزه جلسنا ننظر إلى الأطفال وهم يلعبون ويركضون هنا وهناك. قال لي:

- عندما تكونين صغيرة تعتقدين بأن الحياة ستستمر معك حسب صغر حجمك وتفكيرك لكن لا تدركين بتاتا أن الأمور تصبح أصعب عند كبرك.

قلت:

- لا أريد أن أكون متطفلة لأن لقائي بك كان قبل أمس ترددت كثيرا أن أسألك عن اسمك، هل يمكنني أن أعرف اسمك؟ أجبني:

- كان ينبغي أن أسألك أنا أولا ولأني لا أكثرث للأسماء كثيرا لم أرد أن أزعجك بتحقيقتي غير المريحة، قلت له:
- إذا وضعتني في موقف أن أعطيك اسما يناسب مظهرك ابتسم قائلا: أوو!! إذا أنت تحكمين بالمظاهر هذا ليس جيدا.
أجبهته:

- لأنك لا تريد أن تقول لي اسمك إذا لم يعد هناك خيار آخر غير أن أحزر اسما معينا أناديك به، أجبني:

- حسنا، ما الاسم الذي اخترت ه لي؟ قلت:
- ما رأيك أن أناديك كريم، صمت قليلا نظر في عيني بعمق ثم قال:

- إذا كان هذا الاسم قد أعجبك فلن أرفض ذلك.
ثم ساد الصمت بيننا ونحن نشاهد صخب الأطفال وأمهاتهم يحاولن تهدئتهم والسيطرة على نشاطهم الزائد، يلعبون ويقفزون

في كل مكان يكونون صداقات مع بعضهم بسرعة وخلال تكوينهم لتلك الصداقة تصبح أمهاتهم أيضا صديقات مع بعضهن يجلسن يتحدثن ثم يبدأن بالضحك بعد أن كانت كل واحدة منهن لا تعرف الأخرى، كيف لطفل صغير أن يتحكم بطريقة غير مباشرة في ربط الصلة بين البالغين في مدة لا تتجاوز الدقيقة، هل لهذا الكائن الضعيف هذه الطاقة القوية؟ عجيب أمر هذا الإنسان منذ صغره تبدأ حياته في اللعب بين حبل التأثير أو النفور ومن يقرر ذلك فهو الإنسان نفسه.

انتقلنا إلى مكان آخر به أناس يمارسون الرياضة أعمارهم مختلفة، شباب في سن العشرينات والثلاثينات وشيوخ في سن الستينات والسبعينات، كان المكان مختلطا نساء ورجالا. سألته:

- هل تمارس الرياضة؟ أجنبي:
- كنت أمارسها عندما كنت شابا. جلسنا في مكان قرب أولئك الناس، أنظر إليهم بعضهم يهرول والبعض الآخر يجري بأقصى سرعته. فجأة سألتني:
- كيف وصلت إلى منزلي؟ منذ خروجنا وأنا أفكر أن أسألك وهأنا أسألك الن، أجبته:
- عالمي كان مجرد ظلمة خاليا من الحياة والخير لسوء حظي وجدت نفسي أعيش فيه. سألتني:
- ما تفسيرك للخير؟ أجبته:
- الخير أن أشعر به لكن في عالمي لم تسمح لي الظروف أن أشعر بالخير، سألتني:

- وهل أنت الآن تشع رين بالخير في هذا العام الجديد؟
أجبتة:

- ليس بعد. قال لي:

- كما ترى نعيش في عالم واسع به أحدث التطورات
والاختراعات لكن الخير وسط كل هذا يختفي تدريجيا إلى أن
يصبح منعدما ويصعب أن تجده، تقضي حياتك كلها تبحث عنه
لكن ينتهي بك المطاف إلى موتك فتكون هذه ثمرة وجودك،
البحث عن الخير في أماكن لا يوجد بها ذرة خير، أخبر ريني عن
عالمك أكثر عن تفاصيله. أجبتة:

- عالمي تسوده الظلمة كما قلت لك به ضياع في كل مكان
وجميع الأماكن متشابهة هذا كل شيء، قال لي:

- لو عشت في عالمك كنت سأجعله جميلا لأن عالمك هو
مرآة نفسك وتفكيرك انعكس بتلك الصورة فكانت النتيجة أنك
رأيتة مظلمًا. قلت:

- لكنني منذ أن فتحت عيني وأنا أنظر إليه بتلك الصورة
أجابني:

- وهل حاولت تغيير نفسك؟ طبعًا لم تحاولي ستبقى نفس
الصورة التي رأيتها في عالمك والتي ستظلين ترينها إلى آخر
يوم في حياتك.

فكرت مليا في كلامه وجدته صادقا، هل حقا استسلمت في
تغيير عالمي؟ هل حقا عالمي كان انعكاسا لنفسي وتفكيري ولم
أكن أدري؟

عدنا إلى البيت، لم يخطر ببالي أن كريم سيثق بي إلى هذه الدرجة وأن يقبل بمكوثي معه، كانت الساعة التاسعة ليلا دخلت إلى الغرفة التي وجدني كريم فيها أول مرة تركته نائما على الأريكة بعد وصولنا مباشرة تمدد فوقها دون أن يشعر غاطا في نوم عميق لم أكن أريد النوم خوفا من أن أفتح عيني في اليوم التالي وأجد نفسي في مكان آخر لكن بعد ساعة استسلمت تمددت فوق السرير أغمضت عيني ونمت، لم أشعر بنفسي حتى سمعت زقزقة العصافير، إنه الصباح مرت الساعات بسرعة نور الشمس كان ساطعا اخترق شبكة عيني إلى أعماقها، جلست قليلا في مكاني تفاجأت أني ما زلت في المنزل الذي نمت فيه البارحة، شعرت بالسعادة فتحت الباب لم أجد كريم على الأريكة بحثت في أرجاء لمنزل ولم أجده، هل هذا معقول؟ ربما لم يكن يريد أن يزعجني لكن في نفس الوقت شعرت بشيء لم أرتح له تجاهلت ذلك الشعور جهزت الفطور رتبت المنزل من الفوضى العارمة في الغرف والصالة والمطبخ، الساعة الثالثة بعد الزوال لم يأت كريم بعد حسنا لا بأس وقفت أنظر إلى السماء كانت غائمة على وشك أن تمطر، الساعة تشير الآن إلى السابعة مساء لم يأت كريم بعد بدأ القلق يأكلني بدأت الأفكار السلبية تحاصرني، هل تعرض لحادث؟ الساعة الآن الثانية عشرة منتصف الليل، أين كريم؟ عاد الحزن مرة أخرى إلى نفسي، هل مقدر لي أن أظل وحيدة؟ هل مقدر لي أن أعيش في ضياع مرة أخرى؟ هل مقدر لي أن أشعر بالظلمة مرة أخرى؟ كما قال كريم الشعور هو انعكاس للواقع

الذي أعيشه والعالم الذي يحيط بي هل يجب أن أتغلب على هذا الإحساس اللعين؟ إذا تغلبت عليه هل سيعود كريم؟ بقيت مستيقظة حتى الساعة الثالثة فجرا أفكر وأفكر حتى غلبني النعاس فوق الأريكة.

في اليوم الموالي كان نور الشمس ساطعا جدا استيقظت ببطء إنه اليوم الثاني لم يتغير مكاني بحثت مرة أخرى في أرجاء المنزل كريم غير موجود، لماذا يا ترى؟ ليس لدي رقم هاتفه حتى إنني لا أعرف شخصا من أقاربه أو أصدقائه لماذا يا ترى يحصل هذا؟ خرجت إلى تلك الأمكنة التي ذهبنا إليها جلست قليلا في متنزه الأطفال أبحث بنظراتي هنا وهناك لعلمي أجده لكن دون جدوى ذهبت إلى المكان الذي يمارسون فيه الرياضة جلست بعض الوقت هناك لعلمي أجده لكن دون جدوى تملكني الإحباط أتذكر ما قاله لي كريم عن هذا العالم الاختلاف هو أساسه نبحث خارجا عن الخير والسعادة والاستثنائية لكننا نهمل العالم الأول داخلنا وهو الأعمق لو ننصت إليه قد نجد شيئا يبعثنا عن الضياع فنرمي أنفسنا في أحضان العالم الخارجي وهو عالم لا يكثرث كما قال كريم بل يتغذى على سذاجتنا وغبائنا فنصبح ضحية بين يديه يكبر ليسيطر علينا هذا لأننا جعلناه ملاذا لكي نلجأ إليه بدلا من أن نلجأ إلى أعماقنا.

مر شهر على غياب كريم رحل ولم يعد، أعيش في منزله انسجمت قليلا مع عالمي الجديد وجدت عملا في إحدى المستشفيات دوري هناك أن أكون مسؤولة عن قسم الأرشيفات

لمرضى سابقين، حياة المرضى داخل المشفى صعبة للغاية يصرخون من الألم ليل نهار عند دخول المريض إلى المشفى أسارع لفتح ملف جديد ذلك الملف به معلومات عن المريض والعلاجات التي تلقاها من طبيبه والأدوية التي تم أخذها حقن أو عقار... كانت في تلك الخزنة ملفات لا تعد ولا تحصى لمرضى سابقين لم يكن لدي الحق لفتح ملف سابق والاطلاع عليه دام عملي في المشفى شه را ونصف إلى أن أتى ذلك اليوم الذي جاءت فيه امرأة تبكي بحرقة على مريض غارق في دمائه باتجاه غرفة العمليات كانت حزينة جدا تردد اسمه وتبكي غلبها الإحباط ذرفت دموعا كثيرة، أصبح وجهها شاحبا وتعيسا، عندما ترى طبيبا خارجا من غرفة العمليات تلتصق به توسلا ليطمئنها فيكون جوابه سيكون بخير نأمل له الخير، تعود إلى مقعدها يائسة مرة أخرى، ذهبت إليها اقتربت منها وجلست جانبها، سألتها:

- هل يقربك ذلك الشخص داخل غرفة العمليات؟ أجابت:
- نعم إنه ابني، قلت لها:
- ماذا جرى له؟ قالت:
- حاول الانتحار، بعد أن كان مثل زهرة متفتحة، سعيد والابتسامة لا تفارق وجهه منذ أن كان صغيرا، أدخل السعادة إلى المنزل ظلت تلك السعادة ترافقه إلى أن انتهت بمشاكل في عمله أدت إلى طرده بعد أن استغل أحدهم طبيته ولفق له تهمة سرقة

المدير لحسن الحظ لم يدخل السجن لكن لسوء الحظ أراد إنهاء حياته بيده، قلت لها:

- الحياة لا تستدعي أن نضحى بأرواحنا من أجلها، الحياة أضعف مما نعتقد بل نحن أقوى منها ولأننا نراها صعبة وقوية هذا يدل على رد فعلنا المختلفة أمامها، ابنك كان قويا بما فيه الكفاية لهذا ابتسامته كانت لا تفارق وجهه لكن بعدما بدأت تلك القوة تتضاءل أراد أن يخرجها وأن ينهي حياته قبل أن يشعر بالضعف ينخر عظامه، ربما هذا هو مفهوم القوة في اعتقاده أن تكون نتيجة هذه الطريقة، لا تياسى يجب أن تكوني سعيدة لأن ابنك قوي وليس ضعيفا، في تلك اللحظة خرج الطيب وطمأنها بأن العملية نجحت وابنها بسلام بكت بفرحة ممزوجة بحزن لكن قلبها لن يهدأ حتى ترى ابنها معافي وبصحة جيدة.

كان يوما متعبا كسابق الأيام، فرحت لأن أحدهم أعطى لنفسه فرصة أخرى ليفجر طاقاته في هذه الحياة مرة أخرى ولأن الإنسان قوي بطبعه عندما يغلبه الضياع يأتي دور المشاعر السلبية تنتهز الفرص لتتغلب عليه فهي شياطين صغيرة تلتصق بالأذن وتوسوس إلى أن نستسلم لها تدريجيا.

إنها الساعة السابعة مساء، لم أشأ أن أذهب إلى المنزل مباشرة أردت أن أتجول في المدينة وأرى غروب الشمس تودعنا إلى الغد أردت أن أرى اختلاف العالمين في النهار والليل، الناس في النهار ليس لديهم الوقت للتحدث ولا حتى للضحك أما في الليل تلك الحركة تتباطأ إلى أن تصبح متوقفة تماما تنتظر الغد لكي تعود

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 19

إلى السرعة والجري مع الزمن كما لو أنه يتحدى الساعات الأولى من يومه ومن سيفوز في الأخير يحصل على ميدالية ذهبية، لكن الفئات الأكثر تواجدا بعد غروب الشمس هي التي تخشى الظهور في الصباح خوفا من مجتمع يجمع وضعهم المزري أو شفقة من المارين أمامهم دون مساعدة فعلية، إنه عالم غريب فعلا يهمل المخفي ويهتم بالظاهر أناس ليس لهم قوة ولا كلمة ليدافعوا بها عن أنفسهم سوى الجلوس ومد أيديهم للناس أو رفع لافتات مكتوب عليها ليس لي مأوى أتجول منذ سنوات بين الأزقة والشوارع هل بإمكانك مساعدتي، كلماتهم هذه تعطي رسالة بين أسطرها جعلتهم يهملون عالمهم العميق والحقيقي وينجرفون إلى عالم وهمي تلاعب بهم كيفما شاء عالم مختلط، إعلام يتكلم دون توقف عن أخبار لا نعلم إن كانت حقيقية أم لا، سياسيون يعدون الناس ولا يوفون فقط من أجل مصالحهم، شركات يستغلون ضعف الناس المادي ليصبحوا لعبة في أيديهم، حياة في صعود ونزول خوف وهلع ونفاق وكذب واستغلال أصبحت أدرك أن تفسير الظلام يختلف عما كنت أراه وما أعيشه الآن لكن الناس جيلا بعد جيل لا تريد أن تتعلم من أخطاء الواقع الذي تعيشه كل مرة يسقطون في نفس الفخ وهذا ما يجعل دائرة الحياة كما قال كريم تتغذى على سذاجة وغباء الناس لتصبح أقوى مع مرور الزمن.

وصلت إلى المنزل على الساعة العاشرة ليلا كالعادة، أذهب باتجاه المطبخ أفتح الثلاجة أنظر ما بداخلها فقط أفتحها لكي

أنظر إليها ثم أغلقها أجلس فوق الأريكة أشرد بذهني على السجاد المزخرف أنظر إلى ألوانه العشوائية ثم أنظر إلى اللوحات المعلقة على الجدار، حصان يجري داخل بستان وكأنه هارب من حريق شب في أحد المزارع، وتلك فتاة تنظر إلى السماء بجانب البحر، أما ذلك التمثال مقطوع الذراع ومنحني الرأس له تعابير حزينة، كان لكريم حس فني جميل لو كان هنا كان سوف يعطي تفسيراً آخر لهذه اللوحات لكن للأسف لم يعد له أثر ونحن مقبلون على نهاية شهر يونيو بداية فصل الصيف، هل الصيف هو فصله المفضل؟ أم أن فصل الشتاء تناسب غموضه العميق؟ أذكر عندما كنت في عالمي كان الصيف حاراً جداً والشمس ساطعة كأنها تقول للكون أريد أن أنشر حرיתי في كل مكان حتى تشعروا بي كانت حياة صعبة حقاً أذكر ذلك النور الذي كنت أراه لا أعرف تفسيره ولا حتى إلى ماذا يرمز، نور قوي لم أحاول أن أصل إليه أو حتى البحث عن سبب ظهوره تبغني ذلك النور إلى عالمي الجديد، هل كان ذلك النور هو كريم؟ من السخيف أن أفكر في ذلك، كيف لكريم أن يكون موجوداً هناك كما قال لي لو كان يعيش في عالمي كان سيجعله جميلاً، حقاً كان سيكون كذلك، شخص مثله له نظرة مستقيمة عن الحياة أو لمرة رأته كان شعره مموجاً لكن الشيب أخذ مكاناً بين شعيراته السوداء عيناه بنيتان رموشه كثيفة أنفه مسطح وجهه به تجاعيد ليست واضحة كان يتسم بثقة، أذكر كيف كان ينظر مباشرة في عيني أشك أنه كان يقرأ أفكارني وما يخبئه اللاوعي بداخلي، هل كان

يعلم بأني سأتي إلى منزله؟ لا أيضا من السخيف أن أفكر في ذلك يغلب عليه طابع الذكاء لكن ليس إلى هذه الدرجة أن يعلم بقدمي لكن أذكر عندما كان يتناول طعامه، كيف علم بوجودي وراءه؟ حقا ذكائه يستدعي الاهتمام ربما كانت صدفة أن يعلم بذلك ولكن أين هو الن؟ هل لديه منزل آخر؟ هل ترك لي المنزل لكي آخذ راحتي فيه؟ ولكن أغراضه كلها ما تزال هنا لو كان يعيش في منزل آخر كان سوف يأخذ بعضا من أغراضه، حقا التفكير في هذا يتعب العقل إنها الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، يجب أن أخلد للنوم أغمضت عيني تسلل حلم غريب إلي في المشفى الذي أعمل فيه كأني واحدة من المرضى مستلقية على السرير و حولي أطباء يتكلمون لكن لم أسمع بوضوح ما يقولون يذهب بعضهم ويأتي البعض الآخر إضاءة بالقرب من عيني تزعج نظري الضبابي، أجهزة طبية بقربي جهاز يردد صوتا كدقات القلب أزعج أذني ثم ظهر كريم ينظر إلي من خلف الزجاج أردت أن أناديه لكن لم أستطع كأني كنت تحت تأثير المخدر أتى طبيب إليه كانا يتحدثان بجدية ثم ذهب، سمعت صوتا يناديني يقول لي استيقظي افتحي عينيك، استيقظت على دقات الباب يا له من حلم مزعج نهضت من على سريري وفتحت الباب، هل حقا كريم هذا الذي يقف أمامي؟ هل وجوده في حلمي دليل على عودته؟ دخل دون أن يلقي السلام ذهب باتجاه المطبخ فتح الثلاجة أخذ صحنًا كان به قطعة حلوى جلس وشرع في أكلها أستغرب كيف له أن يكون وقحا إلى هذا الحد، لماذا يتصرف

هكذا؟ هل سمع شيئاً سيئاً عني؟ هل لأني لم أبحث عنه أتى غاضباً؟ اقتربت منه نظرت إليه بتركيز ثم سألته:

- أين كنت؟ لم يجبني كان مهتماً بصحن الحلوى، سألته مجدداً:

- أين كنت طوال هذه الأيام؟ وضع الشوكة بغضب على المائدة ثم أجابني بحدة:

- لا دخل لك.

ترك الصحن فوق المائدة ثم ذهب إلى غرفته أغلق الباب بعنف تركني واقفة في صدمة، لا أعرف ما الذي جرى له؟ بعد ساعتين خرج بهدوء باتجاه المطبخ مرة أخرى فتح الثلاجة أخذ منها قنينة ماء ثم رجع إلى الغرفة لكن هذه المرة أغلق الباب بهدوء دون أن يكلمني أو حتى ينظر إلي، تصرفه هذا أزعجني حتى نظراته في الحلم كانت غريبة ها هو في الحقيقة أغرب بكثير، أردت أن أطرق باب غرفته ترددت كثيراً بقيت واقفة أمامها لكن في الأخير لم أرد أن أزعجه قد تكون هذه المرة ردة فعله عنيفة أكثر، في تلك اللحظة سمعت باب الغرفة فتح وهو يقول لي:

- ادخل ليس جيداً أن تتجسس على أحدهم.

دخلت بهدوء أنتظره ليصارحني عن سبب غيابه، جلست فوق السرير وهو واقف أمام النافذة ينظر إلى السماء كسر ذلك الصمت بقوله:

- هل تعلمين لماذا نعيش في هذا العالم؟ قلت:

- لأننا خلقنا فيه. قال:

- لأننا لم نخلق فيه بل تم إجبارنا لكي نعيش فيه، أجبته:
- ربما تم إجبارنا لكن بإمكاننا أن نغير القاعدة، ضحك ثم قال:

- المشكل ليس هناك قاعدة لكي نغيرها لأننا بكل بساطة محصورون في دائرة مهما فكرنا ومهما عملنا ومهما أبدعنا فإننا سنبقى داخل تلك الدائرة ندور وندور، أدهشني كلامه لكن شعرت بشيء غريب حول كلامه سألته:

- ما سبب هذا التغيير؟ أجابني:
- غيابي كان درسا لا ينسى، آخر يوم كنت نائما فيه استيقظت في مكان آخر لا أعرف ما الذي جرى وكيف وصلت إلى هناك رأيت الناس في ذلك المكان سعداء بصحة جيدة يرتدون أجمل الملابس كنت واقفا فاجأني طفل يدعوني إلى مائدة طولها مت ران مليئة بما لذ وطاب من طعام وشراب كان المكان جميلا كالجنة، في تلك اللحظة أتى أشخاص يبدو عليهم السلطة والقوة ساد الصمت ثم تغير المكان إلى البكاء والنواح أصبح الناس تعساء ملابس ممزقة حياة مزرية اقترب أولئك الأشخاص من تلك المائدة جلسوا يتناقشون في أمور تتعلق بالسياسة وضعوا مخططاتهم كأنهم وجدوا شيئا جديدا في ذلك المكان قلت في نفسي كيف لأشخاص يأتون في دقيقة أن يغيروا كل شيء في رمشة عين؟ ذلك الطفل فاجأني أمسك قدمي يتوسل إلي أن أساعده أن أطعمه لكن لم يكن لدي شيء لفعله لم أفهم أي شيء لم أستوعب ما

الذي يحدث لم يخطر ببالي أنه سيحصل لي كل هذا بعد برهة انصرف أولئك الأشخاص ثم عاد الناس من جديد كما رأيتهم في البداية ثم سألتني:

- كم استغرق على غيابي؟ أجبتة:

- شهر. قال لي:

- أحداث كأنها مرت في يوم واحد. سألتة:

- ما هو استنتاجك تجاه هذا الأمر؟ أجابني:

- لا أعرف حقاً لا أعرف، أول مرة أشعر بأنني ضائع وتائه

تذكرت عندما حدثتني عن عالمك به ضياع وظلام شعرت بنفس

الشيء حينما كنت هناك، نحن حقاً ندور في دوامة لا نهاية لها

نحن في عالم واحد لكن عوالم كل واحد فينا تختلف يا له من أمر

مزعج، مؤلم أن أفكر فيما جرى، ساد الصمت مجدداً داخل

الغرفة وقفت بجانبه وضعت يدي على كتفه ثم قلت له:

- كلما حاولنا تغيير أنفسنا سيأتي شيء خارجي يغير كل شيء

وكلما حاولنا تغيير عالمنا نجد أنفسنا أننا نتغير، في رأيك ما هو

الحل؟ قال لي:

- لا أعرف، قلت له:

- أحياناً نرى أشياء لا نقبلها ولا تتماشى مع منطقنا وإحساسنا

لكن نجهل حقيقة هذا العالم إنه يريدنا أن ننسجم معه لا أن

نعارضه أو نواقفه فقط ننسجم، سألتني:

- هل يجب أن نرضخ لسيطرته؟ أجبتة:

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 25

- الانسجام ليس هو الرضوخ بل هو قوة عقلية في فهم الأمور والانسجام معها ولأننا في البداية لم نفهم ما يريد هذا العالم فقد تنهنا كلما وجدنا أنفسنا فهمنا هذا العالم نسقط في فخ الضياع مرة أخرى.

شعرت حينها أننا تبادلنا الأدوار كأن شيئاً فيه دخل في أعماقي و شيئاً في ذهب إليه ودخل إلى أعماقه، نظرته إلي هذه المرة كانت مختلفة لم تعد كالسابق أصبح متوتراً وخائفاً، قلت في نفسي، هل هذا كريم الذي أعرفه؟ لماذا يبدو ضعيفاً إلى هذه الدرجة؟ عالمي يختلف عن عالمه منذ البداية حقاً عوالمنا مختلفة داخل عالم واحد لم أتوقع أن أراه بهذا الإحباط، أحنى رأسه ثم خرج من الغرفة بخطوات بطيئة وأغلق الباب خلفه، أراه على هذه الحال يحز في نفسي إحساس غير مطمئن، تبعته كان جالساً على الأريكة ينظر إلى يديه كأنه اقترب جريمة بشعة، شعوره بالندم حول ما جرى جعله حزينا جدا جلست بقربه. قال لي:

- هذه الأيدي لم تستطع أن تساعد ذلك الطفل الذي توصل إلي، قلت له:

- الذنب ليس ذنبك ذلك المكان الذي ذهبت إليه هو مكان وهمي لا تحاول التفكير في ذلك كثيراً، قال لي:

- ما حصل ترسخ في عقلي ولا أعتقد أنه سيفارق ذاكرتي.
قلت له:

- من الآن فصاعداً سننام قرب بعضنا إذا كان مصيرنا أن نستيقظ في أماكن أخرى سنستيقظ معاً. ابتسم وقال:

- لم تك وني تظه رين هذه الأفكار من قبل. قلت له:
- تقمصت شخصيتك وأفكارك شكرا لك، ضحك ثم تمدد فوق الأريكة ينظر إلى السقف ثم أغمض عينيه ونام.
- استيقظنا صباح اليوم التالي على صوت صراخ اقترب من أذاننا بشكل مزعج حاولنا تجنبه لم نستطع حاولنا تفقد خارج المنزل لعلنا نجد شخصا يحدث هذا الصراخ لم نجد أحدا لمن فهم ما الذي يجري حاولنا إغلاق النوافذ والأبواب دون فائدة من أين يأتي هذا الصراخ؟ جلسنا على الأرض وضعنا أيدينا على أذاننا لم نتحمل ذلك إنه قوي جدا يؤلم سمعنا يشوش دماغنا لماذا يحصل هذا يا ترى؟ إلى متى سيظل هذا الصراخ؟ إنه مزعج حقا ثم بدأ يتعد شيئا فشيئا نظرنا إلى بعضنا. سألني:
- لماذا سمعنا هذا الصراخ داخل المنزل مع العلم أنه ليس هنا أحد سوانا؟ أجبته:
- لا أدري ربما هذا الصراخ يندرننا بتغيير المكان، وضع رأسه على الأرض مرددا:
- لا أريد لا أريد لا أريد.... قلت له:
- أنا آسفة لن أكرر موضوع تغيير المكان فقط لا تفكر في الأمر. قال لي:
- يجب أن نجد حلا لما يحصل لنا يجب أن نصل إلى حقيقة ما يجري لنا ولماذا كل هذا ما هدف كل هذا؟ جلسنا قرب بعضنا نفكر في هذه المصيبة التي وقعت علينا لم نصل إلى أي جواب.

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 27

إنه اليوم العاشر من يونيو الساعة العاشرة صباحا جالسة على الأريكة وكريم بجانبني تفكر في حل تمر ساعة دون أن نشعر ثم يأتي الليل نجد أنفسنا نائمين في نفس المكان.

اليوم الحادي عشر من يونيو الساعة العاشرة صباحا نستيقظ على الصراخ مجددا، صراخ مزعج داخل رأسنا استغرق 53 دقيقة ثم يختفي تمر الساعة بسرعة دون أن نشعر ثم يأتي الليل نجد أنفسنا نائمين في نفس المكان.

اليوم الثاني عشر من يونيو الساعة العاشرة صباحا نستيقظ على الصراخ مجددا، صراخ مزعج داخل رأسنا استغرق هذه المرة دقيقة ثم اختفى تمر الساعة دون أن نشعر ثم يأتي الليل نجد أنفسنا نائمين في المكان نفسه.

اليوم الثالث عشر من يونيو الساعة التاسعة صباحا نستيقظ على الصراخ مجددا صراخ مزعج داخل رأسنا استغرق هذه المرة 56 دقائق ثم يختفي تمر الساعة دون أن نشعر ثم يأتي الليل نجد أنفسنا نائمين في المكان نفسه.

اليوم الرابع عشر من يونيو الساعة الحادية عشر صباحا نستيقظ على الصراخ مجددا صراخ مزعج داخل رأسنا استغرق هذه المرة 3 دقائق ثم يختفي تمر الساعة دون أن نشعر ثم يأتي الليل نجد أنفسنا نائمين في المكان نفسه.

اليوم الخامس عشر من يونيو الساعة العاشرة صباحا نستيقظ على الصراخ مجددا صراخ مزعج داخل رأسنا استغرق هذه المرة

53 دقيقة ثم يختفي تمر الساعة دون نشعر ثم يأتي الليل نجد أنفسنا نائمين في المكان نفسه.

كان آخر يوم من ذلك الصراخ يوم السادس عشر من يونيو صراخ أتعبنا جسديا ونفسيا أرهقنا ذلك لا نستطيع أن نتحرك أو حتى النهوض من على الأريكة نظرت إلى كريم غلب عليه الضعف وصل به إلى حد لم يستطع أن يسيطر على دموعه كان يبكي ليل نهار ويردد بصوت هادئ:
لماذا يحصل هذا؟

حالتي كانت سيئة، لكن لم تكن أسوأ منه أردت مساعدته ولو بكلمة لكن لم أجد الحرف المناسب لقول شيء حتى إني لم أجد الحرف المناسب لقول شيء لنفسي.

كنا نتظر في اليوم الموالي أن نسمع ذلك الصراخ لكن لم يحصل شيء مرت الساعات لم يحصل شيء انتظرنا بحذر ذلك الصوت المزعج لم يحصل شيء كان كريم مرتاحا نوعا ما سألني:

- هل تعتقدون أن الصراخ سيعود؟ أجبته:
- لا أظن ذلك.

يا لها من أحجية لم نفهم غموضها، قررنا الخروج للتنزه مرة أخرى الإحساس مختلف والنظرة للحياة أصبحت مختلفة تماما لكن الأماكن ما زالت كما هي، كنا نتمشى وننظر إلى العمارات الشاهقة والسيارات المكتظة في الشوارع أزقة ضيقة بها أكياس قمامات منتشرة هنا وهناك لم تحظ بنور الشمس فقد غطى عليها

طول تلك الأبنية البشعة والباهتة، وجوه الناس يبدو عليها عدم الاكتراث، مر بجانبنا رجل عجوز يخطو خطوات ضعيفة وبطيئة كان يحمل أكياس الخضار تنزلق من بين يديه المتجدعتين كان يحاول أن يساعد نفسه بنفسه رأسه منحني، ظهره مقوس يرتدي ملابس لونها رمادي وقبعة حمراء على رأسه وحذاء أسود عليه غبار قليل، الناس تمر من أمامه ومن خلفه ولكنهم لم يبالوا بمساعدته يصطدم مع بعضهم فيخونه توازنه يكاد أن يسقط يقف برهة ثم يكمل المشي ببطء، ذهبت إليه لأمد له يد العون ابتسم لي وقال:

شكرا لك لكن أنا الآن قرب المنزل.

ثم أشار بإصبعه إلى منزله، أكملنا المشي إلى أن وصلنا بجانب البحر تلك الرائحة وصوت الأمواج ممزوج بصوت الرياح أجمل إحساس ينسيك هم الدنيا وما فيها. قال لي كريم:

- منظر البحر وسحره يجعلك واقفا تنظر بدون تفكير تذرف دموعا يشعر قلبك بالسرور يمتص منك السلبيات التي التصقت بك لسنوات وسنوات. قلت له:

- صدقني إن قلت لك هذه المرة الثانية التي أرى فيها البحر أمامي، سألني:

- ومتى كانت المرة الأولى؟ أجبته:

- لا أذكر. قال لي:

- إذا أنت لا تحبين منظر البحر. قلت له:

- أحب منظر البحر بل أعشقه لكن الظروف لم تسمح أن أراه يوميا كما قلت لك أتيت من عالم آخر. ضحك ثم قال:
- لا زلت متشبثة بهذه الجملة تكرر رينها كلما تحدثنا. قلت له:
- إنها الحقيقة لم أقل شيئا خياليا. ابتسم ثم قال:
- أنا لا أعرف اسمي كما أني مسرور لأنك تنادينني بكريم نظر إلي مباشرة وكأنه يريد أن يرى ردة فعلي. قلت له:
- وأنا أيضا لا أعرف اسمي وكنت أنتظر أن تحزر اسما تنادينني به. قال لي:
- المرة الأولى حينما رأيتك لم أفكر بشيء سيء اتجاهك بل رأيتك كشخص يظهر عليك الضياع والخوف. قلت له:
- صحيح كنت خائفة حينها أول مرة يحصل لي هذا أنتقل من مكان إلى آخر أثناء نومي عقلي لم يستوعب ذلك، قال لي:
- أوافقك الرأي أما بالنسبة للاسم من الآن فصاعدا سوف أناديك غريبة ما رأيك؟ ضحكت بشدة كأني أول مرة أضحك في حياتي، فجأة أشعر بيد فوق كتفي ألثفت إذا بي أرى زميلا يشتغل معي في المشفى سألني:
- كيف حالك؟ غبت كثيرا أجبته:
- نعم كانت وعكة صحية، قال لي:
- الأطباء والممرضون يسألون عنك دائما، قلت له:
- سأتي قريبا إلى المشفى الآن أشعر بتحسن. قال لي:
- أراك قريبا إلى اللقاء. نظر إلي كريم ثم قال:
- يبدو أنك كونت معارف في فترة غيابي. قلت له:

- لم يكن لدي خيار آخر لم أكن أعرف كم سيطول غيابك لم أكن أريد أن أموت جوعا بحثت عن عمل وهأنا ذا أعمل في مشفى في قسم الأرشيفات. قال لي:

- أريد أن أرى المشفى الذي تعملين فيه. وافقت ثم ذهبنا.

وصلنا إلى المشفى وقف كريم يتأمله بغرابة سألته:

- ما بك لماذا أنت واقف هكذا؟ أجابني:

- أشعر بأني سابقا أتيت إلى هذا المشفى. قلت له:

- لا يمكن. قال لي:

- بل يمكن.

- ثم سبقني مهرولا دفع باب المشفى ثم دخل، استغربت من

نظراته ومن ردة فعله هل يعقل أن يكون كريم أتى إلى هنا من

قبل؟ ولكن لماذا؟ تبعته بحثت عنه، أين اختفى؟ سألت

المرضيين والممرضات وصفت شكله لهم كانت إجاباتهم "لم

نر شخصا بهذه المواصفات" ماذا؟ ما هذا الجنون؟ أين كريم؟

ركضت هنا وهناك أبحث عنه وأخيرا وجدته واقفا أمام غرفة

العمليات اتجهت إليه غاضبا صرخت في وجهه:

- كيف تختفي بهذه الطريقة وتدعني أركض وراءك كالبلهاء

لم أترك مكانا إلا وبحثت عنك فيه، أمسكت ذراعه بقوة نظرت

إليه بحدة:

- إياك أن تفعلها مرة أخرى، قال لي:

- لماذا أنت غاضبة أسمع نفس الصراخ الذي سمعناه في المنزل، وضعت أذني على الباب حقا كان نفس الصراخ نظرت إليه كأني أسأله كيف يعقل هذا؟ قال لي:
- الآن تأكدت بأنني سبق وزرت هذا المشفى لكن لا أذكر متى. قلت له:

- لنذهب إلى المنزل. قال لي:
- أسمحين لي أن أرى قسم الأرشيفات؟ أجبته بقسوة:
- هل جننت حتى أنا ليس لدي الحق كي أطلع على ملفات سابقة ممنوع إنها قوانين المشفى. قال لي:
- أنا أصر أن أرى قسم الأرشيفات. قلت له:
- حتما تريدني أن أطرده من هنا ليس لدي الحق يعني ليس لدي الحق، قال لي:

- سأبقى هنا إلى أن يحل الليل اترك لي مفاتيح الخزانة سوف أتسلل داخل المشفى مجددا.
أخذت نفسا عميقا، ابتعدت عنه خطوات قليلة فكرت مليا عدت إليه اقتربت منه. قلت له:

- هذه مفاتيح الخزانة الأولى وهذه مفاتيح الخزانة الثانية توجد على اليمين ستجد ملفات كثيرة، لا أعرف لماذا تريد أن تفعل ذلك لكن سأبقى معك، قال لي:
- شكرا أقدر ثقتك ومساعدتك.

انتظرنا حلول الليل كانت النجوم ساطعة في السماء تظهر بوضوح كم كانت جميلة، أتى الوقت كي ندخل تسللنا

كاللصوص باتجاه قسم الأرشيفات كان هناك ممرضات يتفقن غرف المرضى كنا نختبئ بهدوء ثم نتابع سيرنا محترسين ألا نحدث ضجة أو يسمعنا أحد، وأخيرا وصلنا فتح كريم الباب بهدوء دخلنا ثم أغلقنا الباب وراءنا بهدوء أيضا، أسرع كريم في البحث لا أعرف عما كان يبحث سألته:

- عن ماذا تبحث بالضبط؟ أجنبي:

- فقط أريد أن أتأكد إذا كان ملف أبي موجودا هنا.

ظللنا نبحث في تلك الملفات لم يسبق أن سألته عن والديه وعائلته لم أكن أريد أن أتدخل في حياته الشخصية، بحثنا طوال الليل لم يجد أي ملف فيه صورة والده، لكن المفاجأة لما وجد ملفا فيه صورته نعم إنه كريم لم يكن اسمه كريم بل اسمه الحقيقي سامي كانت الصدمة لم نستوعب ذلك قرر أخذ الملف إلى المنزل حاولت منعه لكنه كان عنيدا خرج مسرعا من قسم الأرشيفات مهرولا بهدوء تبعته عندما خرجنا من المشفى ركضنا دون أن نرى خلفنا إلى أن وصلنا إلى المنزل نتصب عرقا جلسنا على الأريكة فتح كريم الملف كانت فيه معلوماته الشخصية كلها من ضمنها كان يتلقى علاجا حول جلطة دماغية أصابته والمدة التي استغرقها في المشفى شهر ونصف، لم يصدق كريم ما قرأه في الملف كان حائرا متوترا لم يخطر في باله هذا كله. سألته:

- هل تذكر شيئا عن حياتك السابقة؟ أجنبي:

- لا أذكر أي شيء، كما أنني لم أصب في حياتي بنزلة برد كيف

يعقل أن أصاب بجلطة دماغية؟ ساد الصمت بيننا أفكر في الربط

بين الأحداث لكن أجد صعوبة في إيجاد الحلقة المفقودة بين كل هذه الأحداث كما أنني أشك في وجود ملف به معلوماتي الشخصية أنا أيضا.

أصبحت أيا منا مليئة بالمفاجآت كل يوم نواجه شيئا غريبا. هل هي صدفة؟ أم أن هذا مقدر لنا؟

استيقظت في الصباح الباكر أخذت الملف الذي كان بجانب كريم على الأريكة خرجت بسرعة وصلت إلى المشفى ذهبت باتجاه قسم الأرشيفات كي لا يراني أحد أو يشك بي أخبئ شيئا تحت سترتي حاولت أن أظهر على طبيعتي فتحت الباب ودخلت هناك لأعيد الملف إلى مكانه جلست على الأرض أفكر فيما حصل وفيما سيحصل لا زلت لم أستوعب ما يحدث كأنه حلم يمر أمامي

وأعيشه بكل تفاصيله توقف تفكيري لبرهة وأنا أنظر إلى الخزانات الممتلئة بملفات عشوائية ذات لون موحد رفوف ضيقة لا تسع ذاك الكم الهائل لمرضى سابقين والبعض منهم وافتهم المنية ملفات تحكي معاناة لأمرض مختلفة عانى منها أصحابها بتضحيات من أهلهم وقلق شديد أذكر تلك المرأة التي جاءت تبكي

بحرقة على ابنها كم من أم وأب مر يفعل الشيء نفسه على مريض سابق؟ كم يضحى الأهل من أجل أقرب الناس إليهم الحياة ليست منصفة تعطي وتأخذ من تشاء وكيفما تشاء أحيانا أقول في نفسي هل أنجبتني الأرض أم السماء؟ هل حقا أنا بشر؟

نعم تلك الملفات تحتاج إلى ترتيب يليق بها كم من صرخة وألم ودمعة وحزن تحمله هذه الملفات داخلها لو نفتحها جميعها كانت ستحكي حكايات مليون ليلة وليلة كيف يعقل أن يكون اسمه سامي؟ سأظل أناديه كريم يليق بمظهره صورته تلك توحى أن في تعابيره شيئاً غامضاً حقيقة تلك الصورة تعطي تعبيراً جامداً على شخصية الإنسان تعطي انطباعات غير مطمئن للرائي، وضعت الملف في مكانه مرة أخرى ارتديت ملابس العمل كانت تنتظرني ملفات لمرضى أتوا إلى المشفى في غيابي بعضهم توفي لحظة وصوله والبعض الآخر في غيبوبة والبعض الآخر استجاب للعلاج وخرج يزاول نشاطاته خارج المشفى بصحبة أهله ورفاقه، آآه سيكون العمل اليوم متعباً، المرضى الذين دخلوا في غيبوبة يصنفون بالمرضى شبه الأحياء هم ليسوا ميتين بل يعيشون بخيالهم وروحهم في عالم آخر لغز محير وضعت نفسي مكانهم هل كنت سأعيش في عالم جميل؟ أم سأعيش في عالم مظلم كالذي أعيشه الآن؟ سخرت من نفسي كيف لي أن أفكر هكذا؟ حاولت أن أوقف التفكير شرعت في العمل لأركز في الملف الذي بين يدي استعنت بالحاسوب لمعرفة بعض المعلومات وإذا بي أرى ملفاً داخل المستندات الخاصة للمشفى استغربت من الأمر حول سبب وجوده أول مرة مع باقي المستندات القديمة أكلني الفضول لأعرف ما يحتويه سرعان ما أتى زميلي من خلفي فاجأني بسؤاله:

- كيف حالك يا صديقتي؟ هل صحتك جيدة الآن؟ أجبتة:

- أنا بخير والحمد لله. قال لي:
- في غيابك حصلت أمور عجيبة في المشفى أتساءل دائما لماذا هذا العالم مليء بالمفاجآت. سألته:
- ماذا حصل؟ قال:
- اليوم الثاني لغيابك وصل مريض إلى المشفى، بعد دخوله بدقيقة إلى غرفة العمليات هرب الأطباء من الغرفة وجوههم خائفة تساءلنا ما الذي يجري؟ اقتربنا من المكان رأينا ما لم يكن في الحسابان. سألته باهتمام:
- ماذا رأيتم؟ قال:
- رأينا ذلك المريض يطير في السماء ويضحك بهستيريا وجهه كان بشعا ومخيفا في نفس الوقت لم أستطع التحرك الخوف امتلكني سيطر على جسدي سألت نفسي هل هو مسكون؟ آآه عندما أتذكر ذلك أشعر بالصداع لم أكن أصدق هذه الخزعبلات لكن عندما رأيته أمام عيني بدأت بالتصديق.
- كان يحكي ما وقع ولكن عقلي كان مشغولا في تأمل وجهه كأني رأيته قبل هذا اليوم؟ أقصد كأني رأيته قبل أن ألتحق بالعمل هنا في المشفى؟ أين؟ ومتى؟ لماذا أشعر بأني أعرفه؟ نظر إلي بتعجب طقطق إصبعيه قرب وجهي. سألتني:
- أين ذهب خيالك؟ قلت له:
- أنا أستمع إليك أكمل. ثم أكمل قائلا:
- لا أعرف كيف مر ذلك اليوم لكن ما أذكره هو خوفي عند رؤيته لو كنت معنا كنت ستبللين سروالك وأنا أراهن على ذلك.

ضحكت وقلت:

- هل رأيت فيلما البارحة؟ كأنك تحكي قصة فيلم أثرت فيك مشاهده. قال لي:

- كيف علمت ذلك؟ قلت له:

- لأنها ليست المرة الأولى التي تحكي فيها قصصا خيالية.

قال:

- هذا ليس خياليا، صحيح أنني رأيته في فيلم لكن حقا هناك أناس يحصل لهم نفس الشيء قرأت العديد من القصص الواقعية حول هذه الأحداث كما أنني شاهدت برنامجا عن هذه الأحداث. قلت له:

- حسنا، هل تسمح لي أن أتم عملي؟ نظر إلي نظرة خبيث ثم انصرف.

لماذا شعرت بأني كنت أعرفه قبل هذا اليوم؟ لماذا أشعر بذلك الآن؟ هل لأن تلك الأحداث التي حصلت لي سابقا كانت سببا في تضليلي عن هذا الشعور؟ أمر محير.

بقيت حتى ساعة متأخرة من الليل أعمل في المشفى ذهب الجميع إلى المنزل بقيت وحيدة هناك غلبنى النعاس قاومته في البداية لكن استسلمت في النهاية شعرت براحة عميقة تتخلل جسدي ظللت نائمة حوالي ساعتين استيقظت على مسامع امرأة واضعة كفها على ظهري لمستها كانت حنونة وصوتها كان لطيفا لم أفتح عيني بعد فقط أسمعها تناديني بصوتها الرقيق تناديني باسم لم أذكره يخالجنى شعور غريب، من تكون؟ ركزت على

صوتها، هل سبق لي أن سمعته؟ صوت يقترب من أذني وأحيانا أخرى يبتعد لماذا لم أفتح عيني بعد لأراها؟ كأن شعورا عميقا يقول لي فقط واصلي السماع، طاوحت شعوري الداخلي وأنا أسمع صوتها بعد لحظات انزعجت، دقات قلبي تسارعت اختنقت لم أعد أشعر بالأكسجين يدخل إلى رئتي، يا إلهي ما هذا؟ هل سأموت؟ ما هذا الشعور الفظيع؟ فجأة نهضت من مكاني أتفقد جسدي، هل لا زال في مكانه؟ كنت أتصعب عرقا كأني ركضت آلاف الكيلومترات خرجت من المشفى مسرعة وصلت إلى المنزل وجدت كريم ينتظري.

قال لي:

- تأخرت كثيرا اليوم عملت كثيرا هذه المرة. قلت له:
- نعم كان كذلك أشعر بالتعب تصبح على خير. تمددت فوق الأريكة بجانب كريم سمعته يسألني بصوت هادئ:
- هل تعتقدين أن ذلك الملف الذي وجدناه حقيقي؟ أجبته:
- لماذا ما زلت تفكر في الموضوع صحيح أن الأمر غريب لكن يجب أن نريح أنفسنا ونخرج من عقلنا كل الأحداث السابقة. قال لي:
- كيف لي أن أخرج من عقلي تلك الأحداث، عندما كنا نبحث عن ملف أبي أردت أن تسأليني هل لدي أهل أم لا. قلت له:
- صحيح، لم أكن أريد أن أتطفل على خصوصياتك لكن أردت بشدة أن أعرف عن ماضيك وأهلك. قال لي:

- لا أذكر عنهم شيئا واضحا كل ما أذكره هو أنني عشت في منزل كبير غرفه كثيرة، أذكر أنه كانت لي غرفة عندما أفتح بابها نور الشمس ساطع بداخلها كانت لدي ألعاب متنوعة طائرة صغيرة سيارة إسعاف وسيارة إطفاء، كما كانت لدي أيضا كرة لونها أحمر ودمى لشخصيات كرتونية كنت سعيدا جدا أركض في أرجاء المنزل أسمع ضحكات أمي وأبي ألعب هنا وهناك أخرج إلى الحديقة يحملني أبي بين ذراعيه ثم يرميني إلى الأعلى ويمسكني كان يعجبني ذلك تناديننا أمي لتناول الغداء أذهب مسرعا إلى المائدة أكون أنا أول الجالسين كان طبخ أمي لذيذا أكل من جميع الأطباق أكل بشراهة. كانت تقول لي أمي:

- كل ببطء ليس صحيا أن تأكل بسرعة وبكميات كبيرة. كان أبي يرد عليها:

- دعني بطلي وشأنه سيصبح كبيرا وقويا وسيحملني أنا في ذراعه الأيمن وأنت في ذراعه الأيسر، أفتخر بما كان يقوله أبي عني وأمي كانت تنظر إلي والابتسامة لا تفارقها كنت أرى السعادة في عينيها. توقف عن الكلام لحظة ثم أكمل:

- هذا ما أذكره أما شبابي لا أذكر عنه شيئا سوى أنني أجلس هنا أتكلم معك عن ماضي الطفولة. قلت له:

- كانت لديك طفولة سعيدة وأهل يحبونك ولكن أين أهلك الن؟ أجابني:

- لا أذكر حتى كيف أتيت إلى هنا بصراحة أنا أيضا تائه في هذا العالم مثلي مثلك. قلت له:

- في البداية كنت أعتقد أنك تعيش هنا. قال لي:
- وصلت قبلك بأسبوع. قلت له:
- إذا أنا وأنت غرباء في هذا العالم. قال لي:
- أحيانا أجد أنني غريب حتى على نفسي كيف يمكن ألا أكون غريبا في هذا العالم. قلت له:
- سنرى ما يخبئه لنا القدر مستقبلا. نظر إلي ثم قال:
- سنرى.

في صباح الغد فتحت عيني في المكان الذي كنت فيه في البداية كانت الصدمة قوية، ماذا أفعل هنا؟ لماذا عدت إلى هنا؟ ماذا فعلت كي أصل إلى هنا؟ خفت كثيرا شعرت بتخدير في جسدي كدت أجن جلست في الزاوية منكمشة أنظر إلى جدرانها السوداء نافذته المحطمة بابه من حديد هل أنا في السجن؟ لا يمكن أن يحصل هذا مسكت رأسي بيدي بكيته بألم وحرقة بكيته بقوة حتى كاد رأسي ينفجر ألما كانت السماء غائمة تعبر عن حزني دعوت الله كي ينقذني من هذا المكان كي أخرج منه قريبا بقيت جالسة في الزاوية أنتظر معجزة تحملني بعيدا تمنيت الموت، لماذا لا زلت في الحياة؟ أريد الموت لا أريد العيش إذا كانت حياتي ستبقى على هذا النحو لماذا يا ربي تفعل بي هذا ماذا فعلت كي يحصل لي هذا؟ هل اقترفت خطأ في حياتي السابقة؟ هل ظلمت أحدا؟ سخرت من نفسي أطرح أسئلة ليس هناك مجيب عليها كم أنا ضعيفة لا أستحق العيش كان يجب أن أموت سابقا الموت هو الحل عدت للبكاء مجددا بكيته دون توقف، بعد

برهة سمعت صوتا خلف الباب ذهبت باتجاه الصوت لم أجد أحدا كان الرواق طويلا تهت داخله لم أعرف من أين أخرج مشيت داخله بحذر أنظر خلفي وأمامي بخوف لا أعلم أيّني وُدي بي هذا المكان رأيت نورا أمامي أسرع الخصى قليلا اقتربت منه كان يتعد أكثر و يتعد أكثر، ما هذا الجنون؟ النور نفسه الذي رأيته أول مرة لماذا

يبتعد عني حاولت مجددا أن أقرب لكن دون جدوى عدت مسرعة إلى الغرفة السوداء تذكرت أن هناك نافذة محطمة ذهبت إليها نظرت خارجا كانت المسافة عالية، هل أقفز؟ إذا قفزت سأموت وإذا لم أمت سأكسر قدمي؟ ترددت كثيرا قررت القفز في كلا الحالتين لا أريد العيش أغمضت عيني ورميت نفسي.

أفتح عيني مجددا في نفس المكان، كيف ذلك؟ هل هذه دوامة لا مخرج منها؟ لا أعرف ماذا أفعل تملكني الإحباط واليأس جلست في زاوية الغرفة أنتظر هبة من السماء تمسك يدي وتعود بي إلى عالمي مع كريم وزملائي في المشفى كم أنا غبية لماذا صدقت كذبة لن يتغير مكاني لا أعرف ماذا أفعل، أجلس في الزاوية كالمتشردة أنظر إلى المكان مرة أخرى لعلي أجد مخرجا آخر غير النافذة لعلي أرى بعيني الثالثة لكي أنقذ نفسي من هذا السجن، السماء لا تزال غائمة النبات بجانب الحائط أصبح ذابلا حزينا هزيلا مثلي أرى نفسي فيه ينظر إلي بشفقة كأنه يقول لي كنت محظوظا عندما انتقلت إلى عالم آخر أما أنا حياتي كلها كانت هنا ولا زالت وستظل لم البكاء؟ لم التعاسة؟ فأجيبه أتمنى

لو حظيت بتفاؤلك كنت أتمنى أن أصبح نباتا مثلك لا تكت رث لوجودك في هذا المكان المظلم لا تشعر بما أشعر لأن الله خلقني وخيرني كإنسان فطرتي العزيمة والإرادة والتغيير والشجاعة للأسف أنا الآن نكرة لا أتحدى بأي صفة جيدة قطعت بي السبل في مكان مظلم كهذا أريد التوقف عن التفكير لا أريد أن أستمر فيه أكثر.

أسمع صوتا بعيدا يناديني كالذي ناداني عندما كنت في المشفى صوت امرأة تبعني إلى هنا أيضا؟ لماذا؟ هذه المرة أسمعها قريبا وفت أبحث عن مصدره إنه آت من خارج الغرفة، لا إنه داخلها أسمعها في الرواق في الجدران في النبات في الباب في السماء يتردد بشكل مزعج دفعة واحدة رأسي يؤلمني أشعر بالاختناق دقات قلبي تتسارع يا ربي ما هذا؟ تمددت على الأرض لم أستطع التنفس هل أنا أحتضر؟ يا ربي ساعدني ثم أغمي علي.

استيقظت في نفس المكان لم يتغير شيء أشعر بالجوع والعطش فتحت الباب أبحث مجددا في الرواق لعلني أجد شيئا جديدا مشيت بخطوات بطيئة بدا لي هذا الرواق لا نهاية له لكن لم أستسلم استمررت في المشي دون توقف مشيت طويلا ابتعدت عن الغرفة كثيرا جلست أستريح أنظر إليه بتعب، وقفت ثم أكملت المشي ظهر النور اقتربت منه هذه المرة لم يتعد اقتربت أكثر حتى شعرت بريح يلامس وجهي مددت يدي شعرت بيد أمسكتني بداخله دفعته بقوة حتى وجدت نفسي في غرفة كريم خرجت مسرعة إلى الصالة لم أجد أحدا بحثت في أرجاء المنزل

لم أجد أحدا، أين كريم يا ترى؟ خرجت من المنزل باتجاه المشفى لم أجد زملاء عملي الذين أعرفهم بحثت في غرف المشفى حتى إني اقتحمت غرفة العمليات انزعج الطبيب مني أخرجني الممرض ون بقوة كنت أريد أن أسألهم عن كريم لم يبالوا بي بل رموني خارج غرفة العمليات، أين ذهب زملائي؟ لماذا لم أجد أحدا أعرفه هنا؟ هل رحلوا جميعا؟ كم مر على غيابي؟ سنة ستان ثلاث سنوات عشرون سنة؟ لا أعتقد ذلك أنا حائرة لقد وضعت في عالم كنت أجدده هو ملاذي لماذا يا ترى يحصل هذا؟ جلست على كرسي الانتظار أحيت رأسي بكيك بشدة اقترب مني أحدهم. يقول:

- لا تبكي الحياة لا تستدعي ذلك. نظرت إليه بحزن تأملت وجهه البشوش. قلت له:

- أنا أبكي على نفسي التي لم أعد أعرفها منذ أن جئت إلى هذا العالم أشعر بالضيق لا أعرف من أنا لا أعرف أهلي حتى صديقي بسببه أتيت إلى هنا أبحث عنه لم أجدده. لم تعد لدي القدرة لإيقاف هذا البكاء. قال لي:

- حتى أنا عشت في دار الأيتام حياتي هناك كانت سيئة لكن هذا لا يعني أنني لم ألتق بأناس ساعدوني وأحبوني من أعماق قلوبهم. سكت قليلا ثم قال لي:

- ابحني ستجدينه، لا تدعي الإحباط يتغلب عليك لا تستسلمي فالحياة اختبار. ثم ذهب.

لقد تعبت من البحث تعبت من كل شيء سأعود إلى المنزل لأرتاح.

خرجت من المشفى باتجاه المنزل أمشي بخطوات بطيئة أمشي منحنية الرأس مستسلمة أحيانا أنظر إلى الشوارع والبنيات والوجوه وأحيانا أخرى أنظر إلى السماء كانت صافية جميلة وقفت أمام محل الملابس إنها ملابس جميلة ألوان زاهية لفساتين متنوعة أعجبني ذلك الفستان الذي كان بجانب أحد الرفوف لونه وردي طويل له تفاصيل أنثوية لو كان عندي مال كنت اشتريته لا بد أنه باهظ الثمن، تلك الدمى المائلة رؤوسها بلا ملامح لا تعبر عن سعادتها أو حزنها ترتدي قطع قماش ملونة لها وضعيات كعارضات الأزياء واقفة بلا حركة يحركونها هنا وهناك راضية تماما بذلك لا تشتكي على حالها، أكملت طريقي أتأمل هذا العالم إنه غريب فعلا عالم يعج بالناس لكنه فارغ في أعماقه حاولت فهمه لم أستطع فقدراتي محدودة لأستوعب ما يجري حقا أنا ضعيف.

استوقفني مكان به ضجيج يصل إلى آخر الشارع تذكرت إنه المطعم الذي دخلت إليه لحظة وصولي إلى هذا العالم نعم إنه هو بطون سمينة أفواه كبيرة أيادي ملطخة ببقايا الطعام صحون ممتلئة يا له من مكان تشمئز له النفوس بعضهم جالس ينتظر وجبته والبعض الآخر يأكل بشراهة كأنه أول مرة يرى الطعام والبعض الآخر واقف في الصف ينتظر دوره لأخذ طلبته، أكملت

طريقي بضع خطوات وصلت إلى المنزل فتحت الباب وجدت كريم احتضنته بقوة اطمأنت لوجوده هنا. سألني:

- أين كنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان؟ أجبته:

- أنا أيضا كنت خارجة أبحث عنك في المشفى قلت لنفسي

ربما تكون هناك تبحث عني لكني لم أجدك وجدت أناسا آخرين لم يسبق أن رأيتهم حتى زملائي لم أقابلهم لا أعرف أين اختفوا. قال لي:

- آخر مرة كنا نائمين استيقظت لم أجدك بجانبني. قلت له:

- لقد عدت إلى ذلك المكان لا أعرف كيف لكن شعرت

بعدم الراحة هناك كان مظلما أكثر من السابق وضعت فيه رأيت نورا كان يتعد عني في البداية مهما حاولت الاقتراب منه لكن بعد محاولات اقتربت منه مددت يدي إليه لم أشعر حتى وجدت نفسي في الغرفة.

هنا بحثت عنك لم أجدك في المنزل لا أدري كم لبثت هناك

لكن حقا لم أعد أرغب في تغيير المكان لم أعد أطيق ذلك. قال لي:

- لنجلس ونفكر في حل.

جلسنا نفكر ونفكر طوال الليل حتى أقبل الصباح لم نذق طعم

النوم خشينا أن نجد أنفسنا في مكان آخر تناولنا الفطور والصمت يغلب علينا. قال كريم فجأة:

- لدي فكرة هذه المرة يجب أن ننام ممسكين بيدي بعضنا لو

غيرنا المكان سنغيره سويا. ما رأيك؟ قلت له:

- أنا موافق لكن أخشى أن يلعب القدر لعبته ونفشل في ذلك.
قال لي:

- حسنا لنربط بعضنا بحبل وبهذا القدر لن يفرقنا. قلت له:
- حسنا ليكن ذلك.

جلسنا على الأريكة ننتظر حلول الليل ربطنا بعضنا بالحبل
نترقب ماذا سيحصل.

استسلم كريم لنوم عميق، متى سأنام؟ أخشى أن يختفي كريم
دون أن أشعر لماذا لم أنم إلى حد الساعة؟ أغمضت عيني
وضعت رأسي على حافة الأريكة وأخيرا غصت في نوم عميق.
استيقظنا على صوت المطر الغزير وأخيرا نجحت الفكرة
انتقلنا سويا، ذهبنا إلى عالم لم نراه من قبل أدهشنا منظره بستان
مساحته شاسعة سرنا تحت قطرات المطر بين الأعشاب المزعجة
نبحث عن شخص أو منزل طلبت من كريم أن يتوقف قليلا أردت
أن أستريح جلست فوق تلك الأعشاب كنت مبلة مكان لا نهاية
له ضعنا، جلس كريم بجانبني نتأمل المكان الجديد حياة لا وجود
للناس فيها ولا أبنية تحجب السماء ولا ضوضاء السيارات كل
شيء هنا هادئ أسمع دقات قلب كريم هدوء لا مثيل له، أشجار
في كل مكان صوت الرياح يجري مع قطرات المطر أكملنا طريقنا
نحو المجهول نغير وجهتنا شرقا ثم غربا ثم شمالا ثم جنوبا دون
جدوى جلسنا للمرة الثانية هذه المرة التعب أهلك جسدنا ما
أجمل خيوط الشمس الذهبية حين تخترق حاجز العتمة يا له من
منظر خلاب ألوان أبداع الخالق في رسمها لم يكن المكان يظهر

بهذه الصورة حينما كانت تمطر، ها هو الآن يرينا سحره ومفاته

يغري إحساس الرائي. ابتسم كريم قال لي:

- مكان مجهول ولكنه جميل. سألته:

- هل ترغب في المكوث هنا؟ أجبني:

- لم أفكر بعد.

استمرت رحلة البحث نحو المجهول نفس الشيء يتكرر معنا

لا دليل على وجود شيء، تملكني الإحباط تغيرت نظرتي فجأة

كل الأماكن متشابهة سواء كانت مظلمة أو مزهرة أو مكتظة مهما

غيرنا يبقى الإحساس نفسه. سألني كريم:

- ما العمل الن؟ أجبته:

- سؤالك ليس له جواب. قال لي:

- صحيح ليس له جواب والأفضل أن نتظر التي.

رأينا شخصا يركض نحونا ينادي بأعلى صوته هيه هيه... بقينا

واقفين نتظر وصول ذلك الشخص اقترب منا يلهث بصعوبة

جلس يستريح أمامنا ثم سألنا:

- كيف وصلتما إلى هنا؟ لم نجبه دهشنا عند رؤيته نظر إلينا

ينتظر الجواب لم نفهم ما الذي يجري، سألنا مرة أخرى:

- هل أكل القط لسانكما؟ وجدت نفسي في هذا المكان لا

أعرف كيف هل تعرفان طريق الرجوع؟ أجاهه كريم:

- لا نعرف. قلت له:

- نحن أيضا مثلك لا نعرف كيف وصلنا إلى هنا. غضب بدأ

بالصراخ ابتعد خطوات عنا ثم عاد يتحدث إلى نفسه:

- هل هذا حلم؟ نظر إلينا اقترب مني أمسك يدي يسألني هل هذا حلم؟ انتظر جوابي وأنا أتأمل تعابيرها الخائفة. أجبته:
 - ربما يكون حلما وربما لا. سأله كريم:
 - من أين أتيت؟ أعني قبل أن تجد نفسك هنا. أجابه:
 - لا أذكر ولكن أول مرة يحصل لي هذا. سأله كريم:
 - ما اسمك؟ أجابه:
 - اسمي إبراهيم وأنتما؟ أجبته:
 - هذا كريم وأنا غريبة. نظر إلي باستغراب ثم قال:
 - اسمك غريب حقا حسنا تشرفت بكما. نظر إلي كريم ثم قال لي بهمس:
 - لم أكن أعلم أنك ستذكرين اسمك حتى إني عندما اخترت أن أناديك به كان مزاحا فقط. قلت له:
 - حتى أنت لم تعارض أن أناديك كريم. قال لي:
 - لو كنت أعلم منذ البداية أن لدي اسم لما قبلت أن تناديني كريم على أي حال لقد اعتدت عليه. قلت له باستفزاز:
 - طبعا لن تجد اسما أفضل منه.
- واصلنا المشي نحن الثلاثة كم هو غريب أن يضاف عضو آخر إلى هذه المشكلة، مشينا مسافة طويلة إلى أن وجدنا منزلا بالقرب من الغابة توجهنا إليه لعلنا نجد من يساعدنا كان يبدو عليها الخراب منزل كبير وقديم، يا ترى من يعيش هنا؟ اقترب إبراهيم دق الباب ليس هناك مجيب دق مرة أخرى لا وجود

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 49

لأحد اقترب كريم أيضا أمسك مقبض الباب ثم فتحه دخلنا بحذر
كانت رائحته كريهة. قلت لكريم:

- لا أرتاح في وجودي هنا. أجبني:

- إنه المكان الوحيد الذي وجدناه بعد بحث طويل. قال

إبراهيم:

- لا رجوع بعد الآن يجب أن نجد شيئا يدلنا على طريق

العودة. قلت له:

- وهل تعتقد أنك ستجده في هذا المكان؟ لا أحد هنا. قال لي

كريم:

- اصبر معنا ونأمل خيرا.

لم أشعر بالارتياح تجاه هذا المنزل دخلنا نتفقد أرجاءه كان
المطبخ متسخا، على غسالة الأواني حشرات، كما يوجد صحون
بها بقايا طعام آآه كم المكان مقزز، ذهبنا إلى الصالة كان بها تلفاز
قديم وبجانبه مذياع، كراسي حول المائدة وأوراق مبعثرة هنا
وهناك، أما غرف المنزل كان بعضها مغلقا بإحكام والبعض
الأخر مفتوح دخلنا إلى إحدى تلك الغرف كان السرير متسخا
ويبدو عليه الصدأ النوافذ كبيرة وتبدو عليها التشققات أما خزانة
الملابس كانت فارغة بها غبار كثيف اختنقت عند فتحها، ما هذا
المكان يا ربي؟ جلسنا نفكر بدا على إبراهيم الإحباط وضع أمله
فيهذا المنزل لكن للأسف لا يوجد أحد.

لم نستطع البقاء فيه رائحته كريهة جدا عند خروجنا أخذ

إبراهيم بعضا من الخبز كان فوق مائدة المطبخ ثم سبقنا مسرعا

خرج دون أن يلتفت إلينا، أستغرب من تصرفه هذا تبعناه أنا وكريم ثم اختفى عنا وسط الغابة لا ندري أي اتجاه ذهب فيه، صرخنا نناديه لم نسمع أية إجابة، الظلام سيحل قريبا الساعات كأنها في سباق معنا استسلمنا، توقفنا عن البحث، أين إبراهيم يا ترى أين ذهب؟

عدنا إلى مكاننا الذي وجدنا أنفسنا فيه في البداية وجدنا إبراهيم هناك ركضنا اتجاهه كان جالسا ينتظر شيئا. سأله كريم:
- أين اختفيت يا صاحبي؟ كنا نبحث عنك فور خروجنا من المنزل. أجابه:

- شعرت بالإحباط تجاه الأمر منزل وسط الغابة لا يوجد أحد غيرنا كيف يعقل ذلك؟ قلت له:
- الحياة تختبرنا لنصبر قليلا في الأخير سيظهر شيء. قال لي:
- هذا اختبار غريب لا أطمئن إليه المشكلة لا أتذكر شيئا فقط اسمي. قال له كريم:

- بما أنك تذكرت اسمك ستتذكر باقي الأحداث فقط اجلس وخذ وقتك.

جلس يتذكر لساعات ابتعدنا عنه نراقبه خشينا أن يختفي مجددا. قال لي كريم:

- يبدو عليه الحزن. قلت له:
- كما جرى لنا في البداية لم نستوعب ما حدث وما يحدث.
اقتربنا من إبراهيم نظر إلينا ثم قال:

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 51

- حاولت التذكر قدر المستطاع لم أتذكر شيئاً سوى أنني وجدت نفسي هنا عقلي لا زال لم يستوعب هذا سأجن حتى اسمي لا أتذكره. ثم نظر إلينا قلقاً وقف وأكمل كلامه:
- أنا آسف عندما سألتني عن اسمي كان يجب أن أقول اسماً عشوائياً ولكن في الحقيقة لا أتذكر أي شيء على الإطلاق.

قال له كريم:

- لا بأس أنا أيضاً لم أكن أعرف اسمي في البداية. قلت له:
- أما أنا لا أعرف اسمي، كريم هو من حزر اسم غريبة وقرر مناداتي به. قال لنا:

- والآن ما العمل؟ هل نجلس ونتنظر أحدا يأتي ليدلنا على طريق العودة؟ أجابه كريم:
- ليست أول مرة يحصل لنا هذا أقترح أن نجلس ونتنظر.
قلت له:

- كما اعتدنا أثناء نومنا نتقل إلى عوالم أخرى لنتنظر حلول الليل. قال إبراهيم:

- أخشى أن تكون هناك حيوانات مفترسة. قال كريم:
- لنعد إلى المنزل نحتمي داخله ونتنظر ما ستؤول إليه الأحداث بعد ذلك.

وافقنا على الفكرة عدنا وسط الغابة نهول قبل أن نضيع وسطها اقتربنا من الوصول كنت أحرص طول الطريق على وجود كريم أمامي وإبراهيم خلفي أغصان الأشجار المتدلية تحجب النظر كما أنها تعرقل سيرنا، ها هو المنزل أمامنا دخلنا إليه ما تزال

الرائحة كريهة، ذهبنا إلى إحدى تلك الغرف المفتوحة جلست فوق الكرسي بجانب السرير جلس إبراهيم على الأرض وكريم جلس فوق السرير ساد الصمت داخل الغرفة لم ننطق بكلمة واحدة بدأ النعاس يغلبني. اقترب مني كريم قائلاً:

- انتظر يجب أن أبحث عن شيء لنربط بعضنا به. سأله

إبراهيم:

- لماذا؟

- أجابه كريم:

- كما تعلم نتقل إلى أماكن أخرى أثناء نومنا يجب أن نربط بعضنا لكي نتقل معا انتظراني سأتي حالا واحرص على ألا تغط غريبة في النوم.

خرج كريم من الغرفة يبحث عن حبل في الغرف المجاورة غاب بضع دقائق ثم عاد لف الحبل على خصري ثم لفه على إبراهيم جلسنا لساعات نتظر عاد النعاس يغلبني مجددا لم أستطع مقاومته استسلمت له وغصت في نوم عميق.

في اليوم التالي استيقظت على صوت كريم يناديني، كان نور الشمس ساطعا فتحت عيني في مكان آخر، يا إلهي ما هذا المكان؟ أين إبراهيم؟ كان كريم أمامي ينظر بدهشة. سأله:

- أين إبراهيم؟ أجابني:

- إنه بجانبك لا زال نائما، نظرت إليه أيقظته لكي يرى بأننا انتقلنا إلى مكان مجهول، فتح عينيه نظر حوله بسرعة وقف ينظر هنا وهناك يحاول أن يستوعب ما الذي يجري؟ أمسك يدي بقوة

كان خائفاً يتمتم كلاماً غير مفهوم ثم اقترب من كريم أمسك ملابسه لكي يفهم ما يحدث ثم جلس يبكي بحرقة وينوح بأعلى صوته لم أستطع أن أواسيه لأنني صدمت بالمكان الذي وجدنا أنفسنا فيه صحراء قاحلة حر شديد رمال في كل مكان، لماذا يحدث هذا لنا يا ربي؟ لماذا نحن بالذات؟ هل اقتربنا خطأ في حياتنا السابقة؟ لم نعد نحتمل ما يجري لنا، نظر إلينا كريم ثم قال:

- يجب أن نتابع السير لعلنا نجد شيئاً. صاح إبراهيم غاضباً:
- تتكلم وكأن شيئاً لم يحدث هل ترى أين كنا وأين انتقلنا يبدو أنك لا ترى ذلك بدأت أشك فيك أنت من يفعل ذلك عمداً أنت من اقترح فكرة العودة إلى المنزل وربط بعضنا بالحبل إذا أنت من تحرك كل هذا أيها الشيطان اللعين. قلت له بحدة:
- لا تلم كريم على شيء لأننا جميعنا انتقلنا إلى نفس المكان وكلنا نتشارك هذه المحنة إياك أن ترفع صوتك مرة أخرى سامحناك عند لقائنا عندما تحدثت معنا بوقاحة وعندما تركتنا وخرجت من المنزل في البداية لكن هذه المرة لن نغفر لك. قال كريم:

- هيا نتابع سيرنا وندعه هنا لعله يجد حلاً لنفسه. أجابه إبراهيم بعصبية:

- سأجد حلاً ولن أحتاج إلى مساعدتك لأنني أشك فيك.
اقترب كريم منه وكأنه يريد أن يصفعه على وجهه ثم قال له بقسوة:

- اسمع جيدا ما سأقوله لك ضعه قرطا في أذنك نحن تعبنا وليست أول مرة يحصل لنا هذا تراني هادئا لأنني أريد أن أبحث عن حل وعن السبب الذي يجعلنا ضائعين في أماكن مختلفة أنت منفعل لأنها أول مرة يحصل معك هذا طبيعي جدا ستأقلم مع الأوضاع لكن إياك أن تتهم أحدا إنها مشيئة الله إلى أن يحين الوقت وتنتهي المشكلة.

تركناه خلفنا ثم سرنا وسط الرمال الكثيفة تحت الشمس الحارقة، التفت خلفي لم أجد إبراهيم، هل حقا يريد البقاء لوحده هنا؟ قلت لكريم:

فقط أنا وأنت من يتابع السير إلى المجهول. قال لي:

- وراء كل مجهول معلوم ينبغي أن نصبر إلى أن يظهر شيء من الله يرينا الطريق الصحيح.

أكملنا طريقنا إلى حيث لا ندري مشينا مسافة طويلة أهلكنا التعب توقفنا مرارا نستريح تحت الحر الشديد، يا إلهي متى ينتهي كل هذا؟ قال لي كريم:

- انظر هناك نخلة لنذهب ونستريح تحتها لأن الحر قاتل هنا. مشينا ببطء إلى أن وصلنا بشق الأنفس جلسنا تحت النخلة كانت طويلة وأوراقها تحجب الشمس الحارقة لم تعد قدمي تحملاني لم أعد أستطيع أن أسير مجددا إلى المجهول الذي لا نهاية له. قلت لكريم:

أتمنى أن يكون هذا آخر مكان نكون فيه أريد أن أعيش طبيعيا
كباقي الناس أريد حياة لا تتخللها المشاكل والمطبات آآه كم
أتمنى ذلك لكن متى سيتحقق؟ أجبني كريم:

- سنعيش كباقي الناس لكن قبل ذلك يجب أن نجرب القليل
من المحن الإنسان يعيش في هذه الحياة لكي يدرك بأن هناك
الخير والشر الجيد والسيء السهل والصعب، أذكر حينما قلت
لي يجب أن تتأقلم مع هذا العالم اقتنعت بكلامك حينها.

كم أشتاق إلى الشعور بالطمأنينة كم أشتاق إلى الحياة الهادئة
يا الله أرغب بشدة أن أنام وأستيقظ في مكاني أتناول الفطور مع
أهلي أجلس معهم بعض الوقت نتناقش ونضحك ثم ألتقي
أصدقائي نتزعه على شاطئ البحر آآه كم أشتاق أن تكون حياتي
بهذا الشكل لكن يبدو عليه حلما بعيدا جدا أو حتى مستحيلا.

بقينا جالسين تحت النخلة المكان هنا جميل وهادئ. قلت
لكريم:

- ما كان يجب أن نترك إبراهيم خلفنا يعلم الله كيف حاله
الن. قال لي:

- قرر أن يتعد عنا لماذا أجبره على البقاء معنا. قلت له:
- كان يجب أن نتعاطف معه لقد كانت لحظة غضب لو
صبرنا كنا سنقنعه بالمجيء معنا. لم يجبني كريم ظل ساكتا
إلى أن وقف قائلا:

- والآن ماذا؟ هل نع ود للبحث عنه أم نكمل طريقنا. أجبته:

- نكمل طريقنا إلى أين إنها الصحراء منذ أن وجدنا هذه النخلة ونحن نتظر من الأفضل أن نعود للبحث عنه. قال لي: حسنا، لنعد تحت هذه الشمس الحارقة والحر الشديد.

انطلقنا عائدين نبحث عن إبراهيم نصرخ باسمه بأعلى صوتنا أين سنجده يا ترى؟ ابتعدنا مسافة قليلة عن بعضنا نبحث هنا وهناك لكن دون جدوى أهلكنا التعب تصببت عرقا شعرت بملابسي مبللة جدا والعرق يتصبب من على جبينني يحجب علي الرؤية جيدا أسير بخطى بطيئة منحنية الظهر ألهث بصعوبة لم تعد قدمي تحملاني أتوقف دقيقة ثم أكمل السير بصعوبة. قال لي كريم:

- تبدين متعبة جدا هل أحملك على ظهري؟ أجبته:

- لا تقلق أستطيع الاستمرار.

سبقت كريم بضع خطوات كنت في البداية أصرخ باسم إبراهيم بكل ما أوتيت من قوة لكن الآن طاقتي ضعفت لم أعد أسمع صوتي حتى يا الله أدعوك أن تخرجنا من هذه المحنة أرجوك يا الله أن ترينا الطريق الصحيح أكملنا سيرنا إلى أن غربت الشمس دون أن نشعر أخفت خيوطها الحارقة بضع ساعات حل الظلام الجو بارد هذا الليل لا وجود لمأوى ولا حتى لشيء نملأ به بطوننا استسلمت للتعب رميت نفسي فوق الرمال لم أعد أحتمل. قال لي كريم:

- لقد ضعنا في هذه الصحراء لا أعرف أين نتجه. قلت له:

- لنتراح قليلا ساعات ونحن نسير دون توقف نبحت عن إبراهيم ولكن لا أثر له. قال لي كريم:
- ستتابع البحث عنه بعد أن نريح جسدينا.
- استلقيت على ظهري أرى تلك النجوم الساطعة في السماء الصافية ما أجملها نظر إلي كريم ثم قال:
- كم أتمنى أن ألمس نجمة واحدة ساطعة آخذها معي لتتير حياتي. قلت له:
- ينبغي أن تصعد إلى السماء لكي تأخذها ولأنك تتمنى المستحيل انس الأمر. قال لي:
- كلنا في الأخير سنصعد إلى السماء أين المستحيل في ذلك؟ قلت له:
- أن تصعد إلى السماء حين يأتي أجلك جرب أن تصعد وأنت حي. قال لي:
- لا أشعر أنني حي بعد هذه المعاناة كلها كيف لك أن تفكر ري بأننا أحياء لقد علقنا بين عالمين عالم الأحياء وعالم الموتى. قلت له:
- تقصد بأننا لا ننتهي إلى الأحياء ولا حتى الموتى.
- انتظرت إجابته كان ينظر إلى السماء بشرود عميق يا ترى ماذا كان يقصد بالضبط؟
- تسلل النعاس إلى جسدي حاولت مقاومته لكن لم أستطع أمسكت يد كريم بقوة ثم غطت في نوم عميق.

في اليوم التالي فتحت عيني في نفس المكان لا زلت في هذه الصحراء يبدو أنها لا تريد أن تتركنا نذهب إلى حال سبيلنا وجدت كريم جالسا بقربي كأنه ينتظر استيقاظي التفت إلي ثم قال:

- آه! كنت أنتظرك أن تستيقظي صباح الخير. سألته:
- هل ما زلنا هنا؟ أجبني:
- لا تفك ري كثيرا هيا نكمل رحلة البحث في المجهول.
- قمت من مكاني نسير ونسير وسط هذه الرمال لا أثر لوجود إبراهيم هل انتقل إلى مكان آخر؟ يبدو أنه لم يفكر فينا حتى، لماذا نحمل هم اختفائه إذا؟ قلت لكريم:
- ماذا نفعل الآن لقد تهنا هنا. قال لي:
- لنستمر لعلنا نجد شيئا يدلنا على إبراهيم. بعد سير طويل جدا استوقفنا شيء وسط الرمال. قال لي كريم:
- هل ت رين ما أراه أم أنه مجرد سراب؟ قلت له:
- يبدو كشخص مغمى عليه. قال لي:
- لتتجه نحوه ببطء لسنا متأكدين ما إذا كان شخصا أو حيوانا مفترسا. قلت له:
- حيوان مفترس في الصحراء؟ هل جننت؟ لو كان كذلك كنا صرنا بلاأس عشاء لذيذا له. قال لي:
- في رأيك ما هذا؟ قلت له:
- إنسان ويحتاج إلى مساعدتنا.

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 59

ركضت نحوه تبعني كريم خالجنى شعور بأنه إبراهيم، هل يا ترى يكون هو؟ اقتربت منه كانت الرمال تغطي وجهه لم أتجرأ على لمسه شعرت بخوف شديد قلت لكريم:

- حاول أن تبعد الرمال عن وجهه لكي نتعرف عليه. قال لي:
- ساعديني إذا. قلت له:

- أنا خائفة من فضلك افعل ذلك لوحدك.

اقترب كريم منه بحذر مد يده كي يحمل رأسه من على الرمال بعد لحظة صدمنا عندما عرفناه إنه إبراهيم، يا إلهي ماذا جرى له؟ حاول كريم إيقاظه يبدو جثة ميتة لم يستجب صفعه صفقة خفيفة كذلك لم يستجب، هل مات حقاً؟ اقتربت منه وضعت أذني على صدره قلبه لم يكن ينبض شعرت بالندم عندما تركناه خلفنا ما كان علي أن أستمع إلى كريم حينما تركناه لوحده بكيت بشدة إنه ذنبنا كم كنا أنانيين لماذا لم نصبر ولو قليلاً نحل المشكلة ونقنعه بالمجيء لم حدث ما حدث. قال لي كريم:

- رحمة الله عليه. أجبته بغضب:

- تقولها بكل برود معه حق عندما قال لك تبدو هادئاً في الأوقات الصعبة وكأنك لا تكثرت لما حدث له. قال لي:

- لا تبدئي بالشجار من فضلك نحن في ظروف لا تسمح بذلك هدئي من روعك. قلت له:

- سأهدئ من روعي لكن تذكر أننا تركناه خلفنا في الوقت الذي كان يجب أن يأتي معنا ما كان علي أن أستمع إليك انظر إليه فقط كان يريد المساعدة. قال لي كريم:

- صحيح كان يريدنا أن نساعده لكن كان عنيدا اختار أن يبقى لوحده وهذا هو مصيره. قلت له:

- تستشف به لم أتوقع منك أن تقول هذا، فقط لأنه صرخ في وجهك وغضب كثيرا. قال لي:

- حتى بعد موته نتشاجر لا أعرف لماذا، بدل أن نكمل الطريق ونع ود من حيث أتينا أنت الآن تلوميني على فعل لا ذنب لي به ولست مسؤولا عليه.

وقفت حائرا أنظر إلى إبراهيم بشفقة، يا ترى ماذا حصل له؟ أطرح هذا السؤال مرارا وتكرارا وكأني أنتظر أن يجيني ذهب إلى السماء لقد ارتاح من هم هذه الحياة سيعيش حياته الباقية في الجنة مع أناس يفهمونه ويقدرونه حياة بلا مشاكل وبلا تعب بلا دموع ولا حزن حياة بلا ضياع ولا أي شيء.

أكملنا سيرنا في صمت محبط بلا أمل إلى أن حل الظلام لليوم التالي طوال سيرنا لم أكلم كريم لم أشعر برغبة في الحديث معه توقفت جلست فوق الرمال جلس بجانبني ثم قال لي:

- أعذر عما بدر مني من سوء. أجبته:

- ظروفا هي من عليها أن تعتذر منا. قال لي:

- أشعر بالنعاس أمسك يدي ولا تتركها.

أمسكت يده ونمنا وسط تلك الرمال اللعينة.

هذه المرة وجدنا أنفسنا في قرية صغيرة كانت مهجورة خالية تماما من البشر سرنا داخلها بيوت هشة وحياة مستحيلة نفايات في كل مكان أبواب قديمة، إنه مكان مرعب حقا، قال لي كريم:

- يبدو أن انتقالنا أصبح أسرع مما كان عليه من قبل . قلت له:
- لا أشعر بارتياح تجاه هذا المكان وكأن شيئاً سيحدث قريباً. قال لي:

- لنذهب بهذا الاتجاه لعلنا نجد أحداً يدلنا على مكان آمن .
سرنا وسط أزقة ضيقة كانت جدرانها رمادية ومتسخة توجهننا إلى المخرج في نهاية تلك الأزقة، ولكن سرعان ما نعود إلى مكاننا الأول وسط القرية إنها دوامة محيرة، كيف يعقل هذا؟ حاولنا مرارا وتكرارا أن نجد مخرجا لكن دون جدوى حاول كريم أن يفتح أبواب المنازل كانت كلها مغلقة حاول تحطيم إحدى النوافذ لكن سرعان ما تعود إلى شكلها الطبيعي، بعد لحظة سمعنا صوت باب فتح توجهننا إليه بحذر خرج منه بشر بلا أقدام يطيطون في السماء بوجوه شاحبة وملابس ممزقة يرددون بصوت واحد "لم ننج وهذا مصيرنا" اقتربوا منا يرددون نفس الكلام وجوههم مألوفة، يا ترى أين رأيتهم؟ كان من بينهم إبراهيم يا ربي هل عاد إلى الحياة؟ لقد تركناه في الصحراء ميتا لكن أين أقدامه، لا لا مستحيل شكله ليس طبيعيا هل هؤلاء أموات عادوا إلى الحياة؟ ثم شعرت بشيء خلفي وضع يده على كتفي التفت بسرعة خائفة اقترب مني يقول:

- قريبا سيصبح مصيرك كالبقية.

هربت مسرعة أبحث عن مكان أختبئ فيه جريت كالمجنونة أبحث في كل الأرجاء لم أجد مكانا أحتمي فيه، يا إلهي ما الذي يجري؟ وقفت أنظر هنا وهناك اختفى الكل وجدت نفسي وحيدة

وسط ذلك المكان أدركت أنني أضعت كريم أين هو؟ عدت للبحث عنه لم أجده هل أخذوه معهم؟ لم أسمع صياحه يستنجد بي، هل هذا حلم؟ لقد آلمني رأسي لم أعد أحتمل يجب أن أخرج من هنا عدت للركض مجددا أبحث عن كريم لعله أغمي عليه في مكان خلف هذه البيوت الصغيرة، تذكرت ذلك الباب الذي خرج منه أولئك البشر عدت إليه كان مفتوحا دخلت بحذر كان مظلماً أسمع صياحا مزعجاً ممزوجاً بكلام هادئ لكنه غير واضح حاولت تجاهل تلك الأصوات، إنه بيت صغير ومظلم لكن أحد أبوابه يؤدي إلى عالم آخر، عالم به بشر من مختلف الأعمار بعضهم يرتدي أجمل الملابس وأحلاها والبعض الآخر يجلس مهموماً ينتظر داخل صف طويل جداً، والبعض الآخر يصرخ من الألم كأنه يتلقى عقاباً عما اقترفه من ذنب، بحثت بين تلك الوجوه عن كريم كانت وجوها مخيفة لكن تشجعت وحاولت الاقتراب منهم واحداً تلو الآخر سألت أحدهم عما يجري وما الذي جاء بهم إلى هنا كانوا ينظرون إلي بحزن وتوسل لكن واصلت البحث عن كريم من بين آلاف البشر لم أستسلم بحثت وبحثت إلى أن وجدت إبراهيم في مكان عال جداً فوق قضيب حديدي بيكي بألم وحرقة ناديته بأعلى صوتي إلى أن رمى نفسه من فوقه، تبعه صف طويل من الناس يرمون أنفسهم لم أحتمل رؤية ذلك المشهد المرعب أغمضت عيني، أصبح جسدي يرتعش من الخوف ما هذا المكان يا إلهي؟ احتضنت نفسي بيدي وأنا أمشي وسط أولئك البشر ولكن لم أستسلم في

البحث عن كريم شعرت بالاختناق وكاد قلبي أن يخرج من مكانه مشيت وسطهم أردت العودة إلى أولئك الناس الذين كانوا في أجمل ملابسهم كي أسألهم وأبقى بجانبهم ولو للحظة لكن بات الأمر مستحيلا بيننا حفرة كبيرة لم أستطع تجاوزها، لماذا قدمي اتجهتا بي إلى هنا؟ وقفت مصدوما أنظر إليهم يتجولون في سلام يعيشون وسط ما لذ وطاب من فواكه وشراب وطعام من مختلف الأطباق يبدو عليهم الهناء والراحة كأنهم لا يستمعون إلى صرخات الألم والعذاب يعيشون حياتهم بطمأنينة أمعنت النظر جيدا في تفاصيل حياتهم لماذا هذا الاختلاف؟ لماذا هؤلاء لم يحظوا بحياة الرغد والرخاء؟ يا لهما من عالمين مختلفين داخل عالم واحد لا يحكم بالعدل، ما الذي يميزهم عن غيرهم كي يعيشوا حياة استثنائية؟ ما الذي اقترفه هؤلاء حتى يعاقبوا أشد العقاب؟ ما ذنبهم إذا؟ كالعادة أسئلة بلا أجوبة.

تملكني الإحباط واليأس مما رأيته حتى كريم اختفى أثره لم يعد موجودا ماذا أفعل الن؟ أضعت طريق العودة هل أقف مع هؤلاء أنتظر دوري أنا الآخر؟ ذهبت إلى آخر صف وقفت هناك أنتظر مصيري، الساعات تمر وأنا أنتظر وأنتظر بلا جديد فقط أنتظر ما سيكتبه قدرتي في هذا المكان أنظر حولي وفي أعماقي لم أستسلم من البحث عن كريم أنظر مجددا إلى تلك الصفوف التي لا نهاية لها أنظر إليهم بخوف لم أصدق عندما تذكرت تلك الوجوه المألوفة نعم أنا أعرفهم ولكن أين التقيتهم؟ أمشي وسط

هؤلاء الناس أفعل ما يفعلونه أشعر بأني اقتربت إلى النهاية هل ستكون نهاية بشعة؟ يا ربي أخرجني من هذا المكان.

لم أشعر بقدمهم حتى وقفوا أمامي ينظرون إلي، أمسكني أحدهم من ذراعي جري نحوه أخرجني من بين أولئك الناس قال لي:

- تعالي معنا لا يبدو عليك أنك مثلهم.

لم أفهم ما يحصل لي هل أذهب معهم أم أقاوم لبقائي؟ هل كريم معهم هو أيضا؟ سألتهم:

- أنا هنا أبحث عن شخص كان معي ولكن لا أدري أين

اختفى. أجبني أحدهم:

- مات رينه هنا هم أناس كانوا أحياء في حياتهم السابقة لا

داعي للبقاء هنا. سألته وأنا أرتجف:

- إذا أنا أيضا ميتة، هل أنا ميتة؟ مستحيل. أمسكوني وذهبوا

بي لا أعرف إلى أين وأنا في طريقي معهم رأيت كريم مع أولئك

الناس الذين يستمتعون بأوقاتهم حاولت أن أوقفهم لكنهم كانوا

أقوياء كنت أردد ها هو كريم انظروا ها هو الشخص الذي أبحث

عنه حاولت بقوة أن أوقف سيرهم، بعد صراع شديد توقفوا

ونظروا إلي بحدة وغضب قالوا لي:

- لا تحاولي المقاومة أنت الآن في قبضتنا. قلت لهم:

- لقد رأيت ذلك الشخص الذي أبحث عنه إنه هناك ثم

أشرت إلى ذلك المكان يبدو كالجنة. قال لي أحدهم:

- أولئك فارقوا الحياة منذ وقت طويل صفاء نيتهم هذه هي نتيجةه.

ماذا؟ فارقوا الحياة؟ صدمت عند سماعي هذا الكلام أمسكوني مرة أخرى كأني اقترفت جريمة، شعرت لوهلة أنني سيئة، أسأل نفسي هل كريم حقا فارق الحياة منذ وقت طويل؟ كان معي طوال هذه المدة كيف يكون قد مات؟ لا مستحيل أنا فقط أتخيل عكس ما قالوه لي فقط لم أفهم مغزى كلامهم كريم لم يمت كان معي بل سأجده عند خروجي من هنا يجب أن أسرع إنه ينتظري.

وصلنا إلى مكان غامض مظلم لكنني عدت ارى ذلك النور مرة أخرى، هل سأنجو من هذا المكان؟ أدخلوني ثم أغلقوا الباب خلفي شعرت بأطراف جسدي جامدة ودقات قلبي تتسارع جلست أبكي بشدة تخيلت نفسي أحاسب أمام الله قبل رجوعي بين تلك الصفوف الطويلة، سمعت صوت امرأة تناديني باسمي يا الله إنه نفس الصوت الذي كنت أسمعه صوت لم يعد غريبا كنت أتهرب منه لكن الآن أتمنى أن تنقذني، صرخت بأعلى صوتي أنقذني أنا هنا أرني الطريق الصحيح من فضلك خذني معك لم أعد أحتمل وجودي هنا، ساد الصمت داخل المكان المظلم لم أعد أسمعها كانت أملي الوحيد لأخرج من هنا عدت للبكاء مرة أخرى لم أشعر حتى اقترب مني ذلك النور، لماذا يتبعني كلما كنت وحيدة؟ لا أراه عندما يكون كريم معي هل لهذا النور علاقة بما آلت إليه الأحداث؟ هل هو إشارة بأنه الطريق الصحيح؟

رأيت يدا ضخمة تخرج منه كانت تقترب مني ببطء حاولت
الابتعاد عنها زاحفة للوراء لكنها قبضت علي شعرت بالاختناق
قاومت بشدة كي أفلت منها لكن بلا فائدة.

يا ابنتي يا ابنتي، صوت تلك المرأة مجددا بعد معاناة طويلة
فتحت عيني بتعب لأرى أمامي امرأة في سن الخمسينات تنظر
إلي ثم انصرفت مسرعة حاولت أن أستوعب مكان وجودي هل
انتقلت أيضا إلى عالم آخر؟ لماذا أنا هنا مستلقية فوق هذا
السرير؟ أريد أن أتحرك أشعر بجسدي يؤلمني حاولت تحريك
يدي كي أنهض، لكن سرعان ما عادت تلك المرأة صحبة الطبيب
كانت تسأله:

- كيف حالها؟ هل شفيت؟ أجاها:

- سأفحصها وأجيبك.

انتظرت بجانب الباب قلقة ومرتبكة مشبكة أصابعها مع
بعضها كأنها تتوسل لشيء أنظر إليها بتمعن كانت امرأة متوسطة
الطول تجاعيد وجهها بارزة لها جفون حزينة ترتدي فستانا أبيض
كانت تردد لا تخافي أنا معك يا ابنتي، ابنتي؟ من تقصد
بالضبط؟ انتهى الطبيب من فحصي قال لها:

- بعد أن كانت تعاني من موت دماغي لقد استفاقت الآن لكن
ستحتاج بعض الوقت كي تسترجع ذاكرتها.

طلبت منه أن تبقى بجانبني وافق الطبيب على طلبها اقتربت
مني بدأت تمسح على رأسي بيدها قلت لها:

- صوتك مألوف لم أتخيل بأنك ستكونين بهذه الصورة.

قالت لي:

- كنت في غيبوبة يا ابنتي لم أبرح مكاني كنت بجانبك دائما.
سألتها:

- من تكونين؟ وماذا تقصدين بالغيوبة؟ أجبيني:
- أنا أمك يا حبيبتى لقد تعرضت لحادث خطير أدى بك إلى
غيوبة مدتها سنة.

صدمت من كلامها هل حقا كنت في غيبوبة؟ لماذا الحياة تفعل
بي هذا؟ لا مستحيل أين كريم؟ لا بد أنه هنا في مكان ما حاولت
مغادرة السرير لكنها منعتني وطلبت مني أن أستريح. قلت لها:

- أنا لا أعرفك ولا أعرف أين أنا الآن، استغربت من كلامي ثم
قالت لي:

- فقط استريحي سيأتي والدك وأخوك قريبا لقد اتصلت بهما
لقد فرحا كثيرا لأنك عدت لنا.

نظرت إليها ثم استلقيت مجددا على السرير كنت متعبة
أغمضت عيني لكني لم أكن نائمة فقط أردت أن أريح عيني من
أضواء المشفى سمعتها تقول:

- غدا سأجلب معي بعض الصور عندما كنت صغيرة
ستذكرين بإذن الله وستعودين إلى البيت معنا.

طلبت منها أن تساعدني في الذهاب إلى الحمام نهضت من
السرير ساعدتني في الوصول إليه أرادت الدخول معي رفضت
ذلك أغلقت الباب توجهت إلى المرأة دهشت عندما رأيت نفسي
شابة في أواخر العشرينات، شعر طويل، عينان بنيتان، فم ممتلئ

وصغير خدود بارزة، وجه بيضاوي، جسد هزيل. هل هذه حقا أنا؟ نظرت بتمعن وخيالي لا يفارق تلك الأحداث التي مررت بها احتككت بكل شيء وكأنه حقيقة لا شك فيها، كيف يعقل بأني كنت في غيبوبة وتلك المرأة كنت أسمع صوتها هل هي أمي حقا؟ لا أصدق ما يجري لي، فتحت باب الحمام كانت تنتظرنني ساعدتني على الوقوف بتوازن، خطرت في بالي فكرة أن أطلب منها رؤية فناء المشفى وأستنشق هواء نقياً، وافقت على طلبي خرجنا من الغرفة ببطء أحاول أن أستجمع طاقتي كي لا أطلب مساعدة أحد لكن دون جدوى ما زلت متعبة أحتاج بعض الوقت كي أشفى تماماً، أنظر إلى تلك المشفى نعم إنها نفس المشفى التي رأيتها في أحلامي في كل تفاصيلها وزواياها إنها هي لكن ليس نفس الأطباء والممرضين وجوه مختلفة، اتجهنا إلى فناء المشفى كان الجو جميلاً جلسنا في أقرب كرسي هناك بجانبنا الأزهار وشجيرات صغيرة أنظر بشرود إلى تلك النحلات النشيطات تمتصن رحيق الأزهار وأستمع إلى زقزقة العصافير. قالت لي: - ذلك الحادث غير حياتنا كثيراً أذكر عندما كنت ذاهبة كعادتك إلى العمل سعيدة كان صباحاً غائماً، عند حلول فصل الشتاء كنت دائماً تقولين لي لا يعجبني الجو الغائم لكن سأذهب إلى العمل وإذا طرأ شيء لي لا تحاولوا البحث عني، كنت أضربك بسبب هذا الكلام المشؤوم وكنت تضحكين وتركضين حول المائدة أحذرك دائماً ألا تعيدي مثل هذا الكلام، كنت تحتضنينني وتقولين لي:

- لن يحصل لي شيء أنا أمزح معك المهم أن تكوني أنت بخير وبصحة جيدة، أراقبك عند خروجك وأنت تودعين الجميع بابتسامتك المشرقة دائما إلى أن أتى خبر الحادث كانت صدمة لنا جميعا منذ ذلك اليوم ونحن في حال حزين لم تعد الأمور طبيعية داخل البيت.

أنصت إليها محاولة تذكر ما تقوله حاولت ذلك لكن لم أستطع بعد برهة أتى رجل ومعه شاب بجانبه عانقني بقوة قال لي:

- وأخيرا يا ابنتي استيقظت بعد سنة من الغيوبة كنت على وشك أن تفارقي الحياة لكن مشيئة الله أن تعودني إلينا سالمة. لم أقل شيئا في الحقيقة لم أعرف ما أقول كان شعورا فارغا تجاه هؤلاء الناس هل هم حقا عائلتي؟ أتمنى أن أتذكر كل شيء في أقرب وقت شعرت بالتعب المفاجئ اصطحبتني عائلتي الجديدة إلى الغرفة ساعدتني أمي على الاستلقاء بقيت أنظر إليهم شعرت بأني غريبة في هذا العالم كيف لي أن أنسجم وأن أعيش بقية حياتي معهم دون ذكريات وأحاسيس اتجاههم لكن صورة كريم لم تفارقني أبدا لا زلت أتذكره لكن أين الحقيقة في هذا كله؟ بقيت بجانبني طوال الليل قدمت لي الطعام مسحت على جبهتي بمنديل مبلل بدأت أشعر باهتمامها قلت لها:

- كنت أسمع صوتك عندما كنت في غيوبة سمعته بوضوح لكن كان معي شخص يرافقني في كل مكان أذهب إليه. قالت لي:

- لم تذهبي إلى أي مكان كنت هنا وكنت بجانبك طوال هذه المدة. قلت لها:

- لكن انتقلت إلى عوالم مختلفة بصحبة كريم الذي شعرت بوجوده حقيقة صدقت حياتي في تلك العوالم كان واقعي هناك ملموسا حيا اشتغلت وكونت صداقات وعشت في منزل لم يسبق لي أن رأيته كان إحساسا غريبا لكن في الأخير قيل لي إن كريم مات.

سألتنني:

- من يكون كريم؟ هل هو صديقك في الحقيقة لم تسنح لي الفرصة لتعرفيني عليه؟ أجبتها:

- هذا المشفى اشتغلت فيه كنت مسؤولة على قسم الأرشيفات ذات مرة وجدنا أرشيف كريم هناك. قالت لي:

- يجب أن ترتاحي أنا معك لا وجود لعوالم أخرى اطمئني. كيف لا وجود لعوالم أخرى؟ ربما لم تصدقني كيف لي أن

أقنع شخصا لا أعرفه لا تربطني به صلة تدعي أنها أمي. قلت لها:

- أنا لا أصدقك ولا أصدق أي أحد هنا. ابتسمت لي وقالت:

- ستصدقين غدا صباحا عندما أريك صورك وأنت صغيرة. قلت لها بانفعال:

- لا أريد أن تربطني بك أية صلة أريد أن أستريح اخرجني. فكرت فيما جرى وما يجري حاولت الخروج من هذه الدوامة التي تضعني في تفكير مستمر لم أشعر بمرور الساعات حتى حل

الصباح دخل الطبيب ليفحصني وطمأنني بأني سأخرج بعد يومين صحتي في تحسن جيد.

دخلت تلك المرأة بعد خروج الطبيب مباشرة اقتربت مني سألتني:

- كيف حالك اليوم؟

لم أشعر برغبة في أن أجيها بقيت صامته إلى أن اقتربت مني أكثر وضعت صوراً فوق ركبتي ثم أردفت:

- هذه أنت عندما كنت صغيرة هذه الصورة التقطها والدك عندما كنا نحتفل بعيد ميلاد أخيك تسليت في ذلك اليوم كثيراً وأخوك كان مسروراً جداً، انظري إلى هذه الصورة أيضاً صورة العائلة كانت قبل الحادثة التي وقعت لك كنت سعيدة جداً وكنا سعداء معك.

حاولت أن أتذكر ولو حدثاً بسيطاً مما تقوله لكن دون جدوى

سألها:

- إذا لم أتذكر أي شيء مما قلته كيف سأعيش معكم تحت سقف واحد؟ أجابت:

- ستتذكريني وتتذكرين أخاك والدك فقط حاولي.

نظرت إلي بعطف وكأنها تتوسل لي أن أتذكرها قمت من على السرير خرجت من غرفة العناية أردت أن أجلس لوحدي هذه المرة لا أريد أن يزعجني أحد، جلست في فناء المشفى أنظر إلى السماء كانت صافية، تلك السحب البيضاء عالقة فوق المشفى أنظر إليها ظهر وجه كريم فيها، لماذا لم يفارق تفكيري؟ لم

يودعني آخر مرة ولم أصدق أنه مات أحجية غريبة ربما ليس لها حل، جاءت إلي الممرضة تطلب مني العودة إلى الغرفة، وأنا في طريقي إليها لفت انتباهي شخص واقف في قسم الاستقبالات شعرت بشيء اتجاهه أكلني الفضول للاقتراب منه، كان يشبه كريم، هل حقا هو؟ نظرت إليه بتمعن استغرب من تصرفي. سألني:

- هل أساعدك في شيء؟

حقا إنه هو، الصوت نفسه تعابير الوجه نفسها تلك النظرات نفسها يا إلهي شعرت بقلبي ينبض بسرعة لماذا؟ هل أنا خائفة؟ لا أعرف بماذا شعرت بالسعادة أم الاشتياق أم الحزن غرقت في بحر من المشاعر جمدنتني في مكاني قلت له:

- أنت كريم لم تودعني آخر مرة قيل لي إنك توفيت. قال:

- أنا لا أعرفك ربما أشبه أحدا فاختلط عليك الأمر أتمنى لك

السلامة إلى اللقاء.

لم يتذكرني؟ كل تلك الأحداث التي مررنا بها ولم يتذكرني؟ هل أصبحت غريبة عليه فجأة؟

لحقت به دخل إلى غرفة رقم 50 كان حاملا في يده باقة زهور كانت هناك امرأة جالس بجانبها وقبل يدها، هل كان متزوجا ولم يخبرني؟ لم يكن يثق بي إذا، شعرت بالحزن ذهبت إلى غرفتي وجدت تلك التي تدعي أنها أمي بجانبها ذلك الرجل والشاب المدعيان بأنهما عائلتي يا لهم من وقحين ماذا يريدون مني لن أبرح مكاني حتى أصدق ما يقولونه.

- أهلا بك يا ابنتي علمنا أنك تريدين البقاء لوحدك لم نشأ أن نزعجك.

- نعم لقد جلبنا لك هذه الأغراض انظري سلة فواكه وبعض الحلويات وأيضا بعض الملابس. قلت لهم بغضب:

- لا أريد أي شيء منكم أنا لا أعرفكم أساسا اتركوني لوحدي أنتم كاذبون يستحيل أن أصدقكم قلت لي دخلت في غيبوبة لمدة سنة غير معقول ولا أريد أن أستوعب ما تقولونه اخرجوا من هنا جميعا.

أصابني انهيار عصبي مباشرة شعرت بالاختناق بدأت بالصراخ بدون سبب لم أسيطر على نفسي حتى دخلت في الظلام مجددا، هل عدت إلى ذلك المكان؟ أشعر بالضعف لا أستطيع تحريك جسدي هل أنا حية؟ نعم إني أتنفس مرت أمامي ذكريات عشوائية تلك الصور حفرت في ذاكرتي كانت حلقة ربطتني بأحداث الماضي أحداث الطفولة عائدة من المدرسة فتحت باب المنزل لأجد امرأة في المطبخ استقبلتني بابتسامة جميلة إنها أمي صحيح تلك المرأة هي أمي، احتضتني بحب وحنان شعرت بالسعادة، أتجه إلى الصالة أجد رجلا جالسا يقرأ الصحيفة بجانبه طفل صغير يلعب بالطائرة إنه الرجل نفسه الذي في المشفى إنه أبي، تذهب بي الذكريات إلى حفل التخرج كل الطلاب حاضرون مع ذويهم بقربي أشخاص يهنئوني ويحضنوني وفرح بهم عائلتي هم حقا لم يكذبوا علي بل كانوا صادقين الآن أذكر كل شيء كم كنت غبية تلك العوالم المختلفة التي انتقلت

إليها محت ذكرياتي مع أهلي ومحبتي لهم لم أصدق نفسي عزمت على الاستيقاظ كي أحضنهم بقوة وأطلب السماح منهم لكن لم تسنح لي الفرصة، ذكريات قادمة وأخرى ذاهبة في محطات متباعدة، أشعر أنني أسافر على متن ذلك القطار في كل محطة أنزل كي أرى من ينتظرنني ثم أعود إليه ليسافر بي مرة أخرى دون توقف أستمر على هذا النحو دون ملل، صحيح أنني أشعر بالضيق تجاه كل هذا لكن لولا كريم لكنت قد استسلمت منذ البداية، كريم كان نقطة قوة في حياتي الوهمية، حياة جعلتني أعيش فيها وأشعر بها كما لو أنها واقعي الحقيقي، عوالم مختلفة نقلتني إليها بدون إذن مني أو حتى موافقتي، حتى ذهبت بي ذاكرتي مرة أخرى إلى يوم الحادث عندما اصطدمت سيارة الأجرة بحافلة أذكر أنني رأيته يحملني إلى سيارة الإسعاف أمسك يدي كان يردد لا تقلقي سنصل قريباً بعد ذلك انتهى كل شيء كان صوته مختلفاً قليلاً لكن شعرت بالاطمئنان وأنا أنصت إليه، لم أكن أتخيل حياتي ستصبح هكذا، تغيرت رأساً على عقب فجرت في أحاسيسها لم أتخيل أنني كنت سأفجرها في عالمي الحقيقي، رأيت أشخاصاً لم تربطني بهم أية علاقة لكنني حاولت التعايش معهم، أماكن لم يخطر في بالي أنني سأذهب إليها لو طلب مني أن أفعل ذلك في الحقيقة كنت سأرفض حتماً، كيف يعقل أنني ذهبت إلى أماكن مختلفة بصحبة شخص كان سبباً بغير قصد في مساعدتي ملامحه حفرت في ذهني لا أعرف بماذا شعرت حينما قررت أن أدخله معي إلى حياة لا وجود لها احتفظت به في ذاكرتي سافرت

معه إلى عوالم أخرى ناديته باسم من اختياري أحببت وجوده بجانبني لكن الحقيقة مختلفة جدا، هأنا ألتقيه والصدمة أنه لم يذكرني ولم يتعرف علي بل لم يعرف حتى أني اعتبرته كل شيء في حياتي، الآن أرى بوضوح ذلك الاختلاف الذي أرهقني إلى حد الموت، رجعت بي ذاكرتي إلى إبراهيم ذلك الشخص العنيد الذي التقيت به صدفة ثم اختفى فجأة، لا أذكر أني قابلته سابقا لكن حاولت أن أسترجع قدر المستطاع ذاكرتي إلى الوراء خصوصا يوم الحادث، هل كان إبراهيم هناك؟ أذكر أني كنت راكبة في سيارة الأجرة اتصلت بي صديقتي تحدثنا عن الاجتماع الذي كان سينعقد ذلك الصباح لكن جرت الأحداث بسرعة حينما اصطدمنا بحافلة النقل المدرسي، ذلك السائق المتهور نعم الآن أتذكر كل شيء كان إبراهيم سائق تلك الحافلة كان مسؤولا عن أرواح بريئة ليس لها ذنب بفعله الشنيع، يا ترى كيف حال أهلهم بعد تلك الحادثة؟ هل نجا أحد منهم؟ كم أتمنى أن تعطي الحياة على الأقل واحدا منهم فرصة أخرى للعيش، فرصة أخرى ليكبر ويحقق أحلامه الصغيرة، أتخيل داخل تلك الحافلة كم من طفل كان يتحدث عن طموحاته وأحلامه، كم كان يتوق ليدخل السعادة لقلب أهله لكن للأسف تتلاشى تلك الأحلام وتتبخر في السماء بوجود أشخاص لا يقدرون الحياة ولا حتى العيش بسلام يحملون معهم سلبيات تراكمت سنوات طويلة يتقنون بها وسط ملايين الناس كي يشعروا بالارتياح بعد ذلك، كيف يمكن أن يكون المرء أنانيا لهذه الدرجة؟

وصل اليوم الذي سأعود إلى البيت وأبدأ حياة جديدة، كان بجانبني أهلي الذين لطالما تمنيت وجودهم بقربي وأن أشعر باهتمامهم الدافئ لكن تفسير انتقالي إلى تلك العوالم، بهدف ماذا؟ لا زال السؤال يؤلم رأسي، كم من شخص دخل في غيبوبة، أتساءل أي عوالم ذهب إليها؟ هل كلهم يكتب لهم القدر للعيش مرة أخرى أم يظلون في تلك العوالم عالقين؟ تقرر روحهم في تلك اللحظة أن تنسلخ منهم لتبدأ رحلتها إلى المستقبل أو الماضي ثم تعود لزيارتهم بين الفينة والأخرى لتطمئن على مكانها الذي ستعود إليه أمنة تفسير الروح معقد قليلا لكن في أعماقنا نحاول قمعها كي نتجاهل ما يخبئه ذلك الغموض الذي لا نهاية له، غموض ليس له تفسير محدد لكن تجاهلنا له يؤخر ظهوره ثم يستغل وجوده في أوقات نعجز عن فعل شيء أو تغيير أي شيء عندها تبدأ الرحلة إلى ظواهر بعيدة لا يستوعبها العقل العادي.

وأخيرا سأبدأ حياة جديدة أنظر إلى ذلك المستشفى الذي كان خطوة واسعة في حياتي بعيدا عن كريم وعن إبراهيم وعن أي شيء ربطني بتلك العوالم الوهمية.

الغلة

أواخر فصل الشتاء وأخيراً سأودع البرد القارس والثلج الأبيض والمطر الغزير والرعد المخيف، وأخيراً سأستقبل فصلي المفضل؛ الربيع أجهز له منذ أيام لأحتفل بمجيئه كل سنة وأشعر بالسعادة عند سماعي زقزقة العصافير على شرفتي مع شروق الشمس، كنت أشتاق إليهم طوال ثلاثة أشهر متتالية من الغيوم الرمادية والرياح القوية، الآن أحبيهم بسعادة غامرة كل سنة أجهز احتفالي الربيعي، أغير أثاث المنزل بألوان ربيعية زاهية، أملاً في الغرفة بزهور لها أحجام وألوان وأنواع مختلفة أخرج إلى حديقة أسقي الأشجار وأجلس وأأمل تلك المناظر الجميلة، أبداع الخالق في رسمها ونحتها، تلك الأشجار الطويلة تمد أغصانها لجميع الطيور للوقوف عليها والحشرات لبناء حفر صغيرة فيها والبشر للعب حولها والتمدد تحت ظلالها المريحة كم أعشق كل تفصيله صغيرة تتعلق بالحياة الخضراء، أما رائحة التراب لها عشق آخر ألمسه بيدي أتحمس جزئياته الصغيرة المختلطة، أغمض عيني وسط الحديقة أطلق العنان لأجنتي الكبيرة فوق السحاب، أرى بأعين مغمضة كل شيء حولي، بأعين مغمضة أسمع طيننا خفيفاً يدغدغ أذني، أستسلم لإيقاعه الممزوج بخشخشة الأعشاب ودوي الرياح وحرشة الحشرات،

راحة نفسية لا مثيل لها بعيدا عن الضوضاء وحركة السيارات السريعة وضجيج الناس، بصراحة لا أريد أن أفكر أكثر، أريد أن أخلّي دماغي من أي شيء، لا أريد أن ألوث دماغي بأي شيء يجعل نفسي متوترة المهم هو راحتي، ولكن لماذا تسللت إلى دماغي سامية في هذه اللحظة؟ لماذا تذكرتها عندما شعرت بأن التوتر سوف يخلق مشاكل في نفسي؟ فتحت عيني بعدما شعرت بأن سامية تستحوذ على تفكيري في وهلة كنت مستعدة للاسترخاء، مدة طويلة لم نتحدث أو أطمئن عليها أذكر آخر شجار بسبب خطيبي نزار حصل كلما حاولت نسيانه يعود كشيطان يأخذ كل تركيزي، أذكر عندما دعاني لتناول العشاء في مطعم فاخر كنا نتكلم ونضحك تزهري على علاقتنا لا أسرار بيننا لكن الواقع شيء آخر، كان نزار يتصف بحس فكاخي جميل، كل شي كان جيدا بيننا قبل أن يأتي النادل بالحلوى اعتذرت كي أذهب إلى المرحاض وأنا في طريقي إليه، ابتسامتي لم تفارقني، كنت أردد في دماغي ك لامة الجميل بسعادة كم كنت سعيدة وساذجة ولكن عند عودتي لم أجد نزار جالسا ينتظرنى كعادته، بحثت عنه بعيني بينما جسدي واقف في مكانه دون أي حركة، وأخيرا وجدته خارج المطعم يتكلم في الهاتف مع أعز صديقة لي، كان يعترف بحبه لها ووعداها بأنه سوف يفسخ خطوبته معي من أجلها، كان ذلك الموعد هو الأخير، كي لا أشعر بأنه يتعد عني أو لم يعد يهمه أمري، كانت الصدمة قوية خطفت حقيتي اليدوية من فوق الكرسي وخرجت من المطعم أهول كي لا

ألتقي به، وصلت إلى البيت، مباشرة اتصلت بصديقتي المقربة وأخبرتها بأني سأنفصل عن نزار، لم أسمع منها أي رد، قطعت الخط، لم أكن أريدها أن تقول شيئاً في الأساس ولم يعد هناك شيء بيني وبينها، بكيت الليل بطوله، كسرت كل الأثاث الجميل الذي كان هدية منه، انعزلت عن العالم الخارجي بصورة نهائية، لم أعد أشعر بأني إنسان، أصبحت أيامي كلها متشابهة في مكان واحد مستلقية ليل نهار، لم أعد أعرف من أنا، كنت أعتقد أنه مر على أزمتي سنة أو ستين لكن اكتشفت أنه مر فقط 20 يوماً، لم أعتقد أن ذلك الحزن كله ستكون مدته قصيرة، لا أعرف ماذا حصل، استيقظت فجأة غسلت وجهي، نظفت بيتي من الفوضى العارمة، جهزت فطوري استحمت ثم ركبت سيارتي، ذهبت مباشرة إلى مدينة الملاهي رغبت في ركوب قطار الملاهي، شعرت بأني لم أعد أخشى ركوبه أذكر عندما كنت ألتقي مع نزار وسامية، كانا يشجعاني للركوب معهما، كنت أخاف كثيراً لدرجة كنت أبكي من شدة خوفي ولكن بعد ذلك ولدت جرأة غريبة بدون خوف وبدون قلق.

توقفت جميع سيناريوهات الماضي بعدما سمعت صوت جرس الباب، فإذا بي أرى سامية فاجأتني زيارتها، فتحت ذراعها لي وضمتني بقوة ثم همست في أذني.

- كيف حالك يا صديقة عمري؟ أحببتها:
- أنا بخير، كيف حالك أنت؟ لم أكن أتوقع أن تزوريني

قالت:

- انظري إلى حقائبي سأسافر، لذلك جئت أمكث هذا اليوم معك.

نظرت إلى تلك الحقائق الكبيرة، تساءلت عن سبب مجيئها قلت لها:

- كنت أظن أنك غيرت رأيك حول موضوع السفر، على حد علمي كنت دائما تتذمرين عندما يخبرك والدك أن تأتي إلى أستراليا لأنه اشتاق لك. قالت:

- شعرت بالاشتياق إلى أبي، مشاعري تجاهه أصبحت أقوى وأتمنى.

هل نسيت خيانتها لي، بكل جرأة جعلتني أستقبلها في منزلي هل سنطبخ العشاء معا؟ هل سنجلس لمشاهدة فيلم ما؟ أم سنشتري الطعام من الخارج؟ هل ستنام فوق سريري بعض الوقت أم أنها تتمدد فوقه تتصفح هاتفها المحمول؟ لم أعد أعرف علاقتي بها من أين سأبدأها و من أين سأنهاها، شيء تغير في أعماقي تحاول التظاهر بأن كل شيء على ما يرام لكيلا تشعرني بأن مشكلا حصل في الماضي، أنظر إليها بعمق تخفي كلاما تريد الإفصاح عنه لكن لا تستطيع، تتصرف بنشاط وحركة وتضحك بهستيريا وتطرح تساؤلات تجيب عنها بنفسها، تفعل ذلك عندما تصبح متوترة وغير مرتاحة، أذكر عندما كنا مراهقتين كسرت مزهريتي التي أهدتها لي جدتي رحمها الله، خبأت القطع المنكسرة في الدرج السفلي، تركتني أبحث عنها طوال الأسبوع والغريب في

الأمر كانت تبحث معي عنها، تظاهرت بأنها لا تعرف أين مكانها بعد بحث طويل وجدت قطعة من تلك المزهريّة تحت سريري بدأت بالبحث حتى في الأماكن التي لا علاقة لها بأماكن وضعها حزنت وبكيت بشدة، انتظرت زيارتها اليوم الموالي سألتني إذا وجدت المزهريّة، أريتها تلك القطع المنكسرة، تظاهرت بتأثرها لكن سرعان ما اعترفت بأنها كسرتها ليس عن طريق الخطأ بل عندما تشاجرنا قبل ذلك، سامحتها لأنها أختي التي لم تلدها أمي، الآن تكرر نفس التصرفات يا ترى ماذا يخفي ذلك الوجه المبتسم؟ هل يتعلق الأمر بنزار أم بشيء آخر؟ سألتها:

- أراك متوترة قليلا ما الأمر؟ أجابتنى بتردد:

- أنا؟ لا على العكس، فقط لأنى سعيدة بوجودي هنا معك.

سألتها:

- كيف حال نزار؟

نظرت إلي كأن سؤالى صعقها وقفت جامدة بعد أن كانت ترتب بعض الأغراض في المطبخ، ارتبكت وزاد توترها، ضحكت وأجابت:

- لم أتواصل معه منذ مدة لا أعرف أخباره ولا حتى ماذا يفعل.

سألتها:

- لماذا أخذت كل هذا الوقت ل لجابة؟ أجابتنى:

- فقط لأنى لم أتوقع سؤالك عنه كنت سأسألك أيضا عن

أحواله. أجبتها بابتسامة مزيفة:

- لو كنت أعرف لما سألتك لأنكما مؤخرًا كتما مقربين جدا تعرفان أشياء سرية بينكما لا يعرفها أي طرف ثالث. ضحكت وقالت:

- معك حق كنا مقربين وأنت كنت معنا لا شيء نخفيه عنك مهما كانت علاقتنا سرية. أجبته بسخرية مقصودة:
- سرية؟ آها! جيد.

في صباح اليوم التالي ذهبنا إلى المطار، كان شعورا غريبا عندما وقفت تنظر إلي كأنه آخر يوم أودعها للأبد، شعرت بعدم الاطمئنان لرحيلها وكأن صوتا داخل صدري يقول لي امنعها من السفر لا تدعيها تذهب فقط ارفضى قرارها لكن لم أستطع ذلك، بداخلي صراخ وضجيج وتساؤلات كبيرة ولكن فمي كان مغلقا، لم تتحرك شفتي للتعبير عن ذلك الصراخ الكبير، كنت أنظر إليها، انتظرها أن تبادر بشيء أو على الأقل تقول مع السلامة لكنها ابتسمت فقط وأدارت ظهرها ورحلت، أنظر إليها تبعد بخطى بطيئة، لم أتحرك من مكاني مجددا وقفت جامدة الناس تمر أمامي بجانبى وخلفي بسرعة صامتة هل هذا طبيعي؟ يجب أن ألحق بها، أريد أن أضمها لخر مرة وأقول لها أني سأشتاق إليها وأن يبقى اتصالنا دائما، مع الأسف فعلت ذلك في مخيلتي ولم أجرؤ على فعله حقيقة، خرجت من المطار ركبت سيارتي أدرت المحرك مباشرة إلى المنزل لأحظى بالسكينة، لا أريد أن أشوش ذهني بأفكار مزعجة، رن هاتفني يا إلهي! إنها سامية أجبته على الاتصال، قالت لي:

- كنت أنتظرك أن تقولي لي وداعا، هل لا زلت غاضبة مني؟
أجبتها:

- لم أعد غاضبة لا أستطع نسيان الماضي لكن لم أعد
غاضبة، قالت لي:

- اتصل بي نزار قبل قليل سأل عنك لأنه فقد الثقة في نفسه
للعودة إليك والتكلم معك، قلت لها:

- نزار أصبح غريبا بالنسبة لي، لم أعد أعرفه ولا أريد ذلك
قالت لي:

- فقط أعطه فرصة لعله يصبح أفضل من السابق الجميع
يخطئ، قلت لها:

- صحيح لكن لم أعد أرتاح لوجوده في حياتي أنا الآن أسعى
إلى أن أملاً يومي بالعمل ولدي مشاريع سأحظى بتحقيقها قريبا،
قالت لي:

- بالتوفيق لك سأشجعك مهما كانت المسافة بيننا، أردت أن
أقول بأني كنت أغار منك عندما كنا صغارا لكن غيرتي تجاهك
ليست من أعماقي فقط غيرة كي أصبح في مستوى نقائك ولطفك
لكن هذا لم يمنعني أن أعترف لك بحبي واشتياقي لك، قلت لها:
- أنا أيضا سأشتاق لك وسأحبك كأختي التي لم تلدها أُمِّي
ولن يفرقنا أي شيء في هذه الدنيا، قالت لي:

- صحيح، المهم سأذهب الوداع يا صديقة عمري أحبك.
ثم انقطع الخط، أجهشت بالبكاء شعرت كأن جزءا مني رحل
ولن يعود أبدا، إحساس بعدم الطمأنينة لرحيلها زاد من حزني ودم

وعني لم تتوقف، وصلت للمنزل اتجهت إلى غرفتي أغلقت الستائر تمددت فوق سريري وأكملت بكائي الذي لم يتوقف أبداً، بكاء جمع آلام تلك السنوات، كنت أظهار بالقوة فيها وقمع مشاعري عن الإفصاح والتعبير، ألاحظ كل شيء ولا أعطي ردة فعل محددة، كنت أشك بأني تمثال يرى ولا يحرك ساكناً لكن اليوم فضحتني أحاسيسي الغابرة، عدت إلى نفسي المؤلمة إلى نفسي الضعيفة، سعيدة أيضاً بهذا الرجوع وأخيراً سأعطي الحرية لمشاعري التي طالما دفنتها لنفسي المدمرة وأخيراً سأفاعل مع الظروف مهما كانت قاسية، سأستعد لها بكل جوارحي، سأبكي لأن الظروف ستجرحني مستقبلاً ولكن سأضحك لمواجهتها، سأبكي لخيانة الناس لي مستقبلاً لكن سأضحك لتجاوزها بصدر منشرح، سأبكي لفشلي مستقبلاً ولكن سأضحك لأنها ستكون تجربة مؤقتة لأنهمض من جديد.

في صباح اليوم التالي استيقظت على رنين هاتفي، تأخرت ساعة عن موعد الاجتماع يا إلهي!! قفزت من على سريري غسلت وجهي ارتديت ملابسني وخرجت من المنزل مسرعة، ركبت سيارتي وانطلقت بسرعة البرق إلى مقر عملي، وجدت المدير عاقداً حاجبيه وتبدو عليه تجاعيد الغضب، رمقني بنظرات حادة، حاولت تجاوز تلك النظرات التي لن تقبل أي تبرير مهما كان، كنت آخر الحاضرين، اتجهت إلى قاعة الاجتماعات، فات الأوان انصرفوا قبل 20 دقيقة، اتجهت إلى مكثبي لأكمل بعض الأعمال فإذا بي أتفاجأ بالمدير أمامي، قال:

عندما يجتمع الخيال بالواقع | 87

- أول مرة تتأخرين عن العمل أريد أن أعرف السبب؟ أجبتة:
- فقط لأنني سهرت ليلة البارحة ببعض الأعمال ولم أستيقظ
على رنين المنبه، ضحك بعصية ثم قال:
- مبرر تافه على الأقل إذا أردت الكذب قولي شيئاً مقنعاً
ضحكت بدوري وقلت له:

- ل لأسف أنا لا أكذب قلت لك الحقيقة، اقترب مني وقال:
- اليوم كان اجتماعاً مهماً لشركتنا توقعت منك الحضور من
فضلك لتكن هذه أول مرة وآخر مرة تتأخرين فيها، أجبتة:
- إن شاء الله.

انصرف من مكثبي عدت إلى عملي وانشغلت ببيانات الشركة
التي لم ولن تنتهي، حل المساء لم أرد الذهاب إلى المنزل يجب
أن أنهي عملي اليوم حتى لو يكون ذلك على حساب راحتي، مر
الحارس يتفقد المكان رأني في المكتب، سألني:
- هل سيطول وجودك هنا؟ أجبتة:

- نعم لدي أعمال كثيرة يجب علي أن أنهئها الليلة، قال لي:
- آه تذكرت، جاء شخص هذا الصباح يسأل عنك قبل
مجيئك بساعة، سألته:

- من يكون؟

أجابني:

- لم يقل اسمه فقط سأل عنك ثم رحل، آسف لإزعاجك
سأدعك تعملين بالتوفيق.

يا ترى من يكون؟ إنها الساعة 11 ليلا تعبت جدا وأخيرا أنهيت كل تلك الملفات والاوراق التي تجلب الاكتئاب لصاحبها غدا لن يجد المدير ما يشتكي منه. خرجت من الشركة وأنا في طريقي إلى سيارتي سمعت صوتا خلفي يقول لي:
- لماذا تأخرت في العودة إلى المنزل؟

التفت خلفي، إنه نزار وقفت بدون حركة، اقترب مني فأدرت ظهري مباشرة، أكملت طريقي لا زال خلفي يتبعني لم أجه فقط أردت الوصول إلى سيارتي والعودة إلى المنزل، أمسك بيدي جرنى إليه بقوة دفعته بعيدا عني، لحقني مرة أخرى قلت له:

- لا تحاول اللحاق بي لأنني لم أعد أحتاجك في حياتي كنت من الماضي وستظل، قال لي:

- أنا لا أريد أن أعود إلى حياتك مرة أخرى فقط لأنني شعرت بذنب تجاه ما حصل بيننا، أردت أن أشعر بالطمأنينة، لم أشعر بها منذ يوم فراقنا، أجبته بسخرية:

- أنت الآن أمامي هل تشعر بالطمأنينة الن؟ هل ارتاح قلبك؟
قال لي:

- ليس بعد.

لم أكثر له، تركته واقفا لم يتحرك من مكانه ركب سيارتي كنت أنتظره أن يفعل شيئا، أنظر في المرأة هل سيلحق بي؟ لكنه لم يحرك ساكنا، انطلقت بسيارتي طول الطريق أفكر بما حصل هل كنت قاسية بعض الشيء؟ هل كان يجب أن أتكلم بأسلوب آخر، ربما شعر بالذنب حقا ولكني لم أستطع نسيان خيانتة لي أشعر

بأني عدت للضياع مرة أخرى لماذا عاد إلى حياتي إذا؟ هل لا زال يحبني أم أنه فقط يتظاهر؟ الذي يخون مرة تتاح له فرصة الخيانة ألف مرة لذا يجب أن أتأكد من مشاعره أكثر لا يمكنني أن أصدقَه بهذه السهولة. عند وصولي إلى المنزل اتجهت إلى المطبخ مباشرة شعرت بعطش شديد أذكر عندما ذهبت إلى الطبيب سألني ما إذا كنت أشرب الماء الكافي، أجبته بأني لا أشعر بالعطش إلا نادرا، استغربت كيف أتى هذا الشعور فجأة؟ شربت لترات من الماء لكن سرعان ما يجف حلقي وأعود لأشرب لترات أخرى، لم أكتف منه إلا بظهور نحلة لم تكن كباقي النحل حجمها كبير كحجم اليد، لونها برتقالي لديها أعين ضخمة شديدة السواد، وقفت بجانب نافذتي، تساءلت هل النحل يظهر ليلا؟ كانت تطير بلا صوت هل سمعي أصبح ضعيفا؟ لا مستحيل، جربت أن أضرب بالكؤوس والصحون وأحدث ضجيجا في المطبخ كان كل شيء بخير ولكن هذه النحلة هل طبيعي أنها لا تحدث صوتا؟ كانت ثابتة تنظر إلي بعينيها السوداوين، بقيت ثابتة 15 دقيقة وأنا بدوري بقيت أنظر إليها ماذا ستفعل؟ كان اتصالا عميقا وغريبا بيني وبينها، بعد ذلك طارت بعيدا بهدوء واختفت في الظلمة، هل ما رأيته حقيقي أم أني أتوهم بسبب التعب والتفكير المفرط، يا إلهي! كان يوما صعبا تمنيت أن أذهب للنوم وأستيقظ بذاكرة تنسى ما حصل في الماضي وأبدأ حياتي من الصفر، عادات ومعتقدات وأحاسيس وأناس وبيت وعمل ووجه وشكل وجسم وكل شيء جديد، أعلم أن كل هذا مستحيل لكن

لا عيب في التمني وإهداء العقل شيئاً جديداً يفكر فيه ونفساً تضحك بسبب ما يفكر فيه العقل وأنا أتخطب بينهما.

صباح اليوم التالي كان غائماً الشمس لم تطل علينا كباقي الأيام لا عجب في ذلك حتى الطقس يتغير مزاجه لا يظهر سروره وتفاؤله دائماً، إذا هكذا سأبدأ عطلة الأسبوع، حسناً على أي حال يوم جميل، الناس تخطط في عطلة الأسبوع للسفر أو الزهات على الشاطئ أو في الغابة أما أنا أجلس في البيت أفكر ماذا أفعل، ينتهي بي اليوم على السرير منذ استيقاظي إلى موعد نومي، أنام مرات عدة خلال اليوم الواحد كل شيء ممل أحياناً أذهب إلى حديقتي، أسقي الأزهار وأنظر إلى ألوانها الجميلة لا أشعر بذاكرتي حتى أدخل في دوامة الماضي، أحياناً أشك بأنني لن أتخلص من هذه الذكريات إلى مماتي وأحياناً أكون مقتنعة بأنني سأتجاوز كل عذاب نفسي مررت به وما زال يضعني في صندوقه الصغير الخائق الذي لم أعد أطيعه. مرت ساعة لم أجد ماذا أفعل كعادتي، أردت التوجه إلى غرفتي سمعت جرس الباب استغربت من يكون يا ترى؟ نظرت من ثقب المفتاح كان شخصاً يحمل أزهاراً جميلة، زاد استغرابي فتحت الباب فكان نزار الخطيب الخائن، سألته بنبرة حادة:

- ماذا تريد؟ ألا تكفي من هذا كله؟ أليست لديك حياة تركز فيها أم ماذا؟ أجابني:

- هذه الأزهار لك، اليوم عطلة الأسبوع جئت لنخرج معا لتناول الغداء في مطعم من اختيارك.

شعرت بالغضب الشديد، كلامه مستفز كيف يكون حقني را إلى هذه الدرجة ألا يخجل من خيائه لي، هل لا يزال لديه وجه ليريه لي؟ حياتي ليست لعبة بين يديه، أنا لست دمية يحبها ويرميها وقتما يشاء، صرخت في وجهه:

- أنا لا أحتاجك في حياتي وأريد من جميع الناس أن يعرفوا أنك أحقر شخص قابلته في حياتي فقط اذهب.

رمقني بنظرات حادة دخل بقوة وأغلق الباب، رد بغضب:

- اسمعيني جيدا لم أقتل والديك حتى تكرهيني إلى هذه الدرجة، أنا هدي في أن تريحني ضميرك اتجاهي، وأن تفكري ولو قليلا بأني لست إنسانا بشعا إلى هذه الدرجة أفعل المستحيل لكي ترضي عني.

استمر في الكلام لكنني لم أعد أسمع ما يقوله، شعرت بالدوار فجأة أسمع صوته بعيدا جدا يتردد بشكل متفرق، فقط أرى تعابيره بأعين دائخة، لم أعد أستطيع حمل رأسي، نظرت إلى نافذة المطبخ، تلك النحلة موجودة هناك مثل أمس لا تحدث صوتا لكن هذه المرة كان حجمها أكبر بقليل، تنظر إلي بعينيها السوداوين، شعرت اليوم بإحساس خفي اتجاهها وكأنها تريد أن تقول شيئا أو تلمح لشيء لكنني لا أعرف ما هو، لا أعرف ما يحصل لي، أغمضت عيني لكي أطرده صورة النحلة من رأسي وصورة نزار وهو يتكلم بلا توقف ماذا قال بعد ذلك؟ لا أدري استيقظت على صوت نزار يناديني بهمس فنظرت إليه، قال لي بصوت خافت:

- هل تشعرين بتحسن؟ قلت له:
- لماذا أنا هنا؟ ماذا حصل؟ قال لي:
- لقد أغمي عليك في الحقيقة لا أعرف سبب ذلك هل تتناولين الدواء؟ قلت له:
- لا، أول مرة يغمى علي لا أذكر غير أنني تشاجرت معك، قال لي:
- لا تفكري في ذلك لتتجاوز الموضوع، هل أحضر لك بعض الطعام؟ أجبته:
- لا أشعر بالجوع بل أشعر بالحزن الذي لم يفارقني منذ أن ختنتني، أتعلم كنت سعيدة جدا بك وأفتخر بك أمام الجميع صدمتي لم أجد لها دواء، بقيت مريضة إلى حد الساعة، قال لي:
- كان خطأ بسيطا سأعوضك عنه وستنسين كل ما مررت به من ألم فقط ثق بي، قلت له:
- هل تبرر خطأك بأنه بسيط؟ لنفرض أنك أنت من تعرض للخيانة هل كنت ستسامح بهذه البساطة وتقبل كلمة "بسيط"؟ أجبني:
- ليس تماما ولكن كان خطأ وجميع الناس تخطئ فقط ثق بي، قلت له:
- لا أتق في نفسي حتى ولا أريدك في حياتي مرة أخرى يكفي أنني تدمرت كليا بسببك، قال:
- فقط اعتبريني شخصا يريد أن يقدم المساعدة لا أقل ولا أكثر.

كان ينتظر أن أجيئه لكن لم أستطع، عقلي لم يقدر على التفكير في شيء آخر سوى ما دخل تلك النحلة في هذا كله؟ لماذا رأيتهما بالأمس واليوم هل كان الأمر صدفة أم متعمدا؟ مهما تكلمت مع نفسي عن حجم الألم الذي في داخلي لن أعطي حق الشعور الذي ينخرني كل ثانية ودقيقة، نهضت من مكاني لم أعر اهتماما لوجوده، أردت أن أعطي لنفسي فرصة جديدة لكن لا يزال الضعف يظهر بين الفينة والأخرى، لا بأس لدي إيمان قوي سأتجاوز كل الذي مضى. ذهبت باتجاه المطبخ لأحتسي فنجان قهوة، أنظر إلى النافذة التي ظهرت فيها تلك النحلة العجيبة، أفكر وأفكر دون جدوى، وقف نزار بجانبني وهلة ثم انصرف، لم أعد أشعر اتجاهه بأي حب، أصبح كأني شخص عادي أراه في الشارع أو في التلفاز، مر اليوم بطوله ولم أبرح مكاني، سمعت صوتا هادئا يقول لي:

- استمري في التفكير لا تتوقفي.

الهدوء سيطر على حياتي، أفكر في الفراغ والفراغ لم يعد يطيقني. دق جرس الباب يا ترى من يكون؟ فتحت الباب لأراه أمامي، إنه نزار مرة أخرى لماذا عاد؟ اقترب مني وقال:

- غيري ملابسك لنخرج سويا إلى أي مكان تريدينه.

نظرت إليه مطولا، توقف تفكيري للحظة لكن نفذت طلبه في الحال، اتجهت إلى غرفتي غيرت ملابسني وجدته ينتظرني في الصالة، نظر إلي بإعجاب، أمسك يدي ثم قبلها وهمس في أذني:

- تبدين جميلة كم اشتقت إليك.

لا أعرف كيف أصف شعوري عندما تصرف معي هك لذا كأن شيئاً بداخلي تحرك بعد أن كان جامداً، شعرت بالحرارة تصعد من قدمي إلى رأسي، شعرت بالسعادة وفي نفس الوقت بالخوف، بكلمة واحدة منه تغير كل شيء، بكلمة في يوم واحد تغير تفكيري تجاهه، هل لأنني ما أزال أحبه ولكن في أعماقي كنت أكبت ذلك الإحساس؟ أم لأنني فوجئت بتعامله اللطيف؟ نزار ذلك الرجل الذي تودد إلي أيام الجامعة لم أرفض طلبه لنكون حبيبين فقط كنت أتجاهله، تلك الأيام كانت لنا شعبية كبيرة بين الطلاب، أذكر عندما اجتمع بعض الأصدقاء في حفلة عيد ميلادي، أتى دون دعوة فقط ليعترف بإعجابه لي وأمام الجميع كانت سامية سعيدة باعترافه واستغربت سبب ذلك، كانت تراه فتقول لي:

- أكره هذا الشاب.

كانت ترددها كلما مر أمامنا، لكن بعد تلك الحفلة أصبح ثلاثتنا أصدقاء إلى ما بعد التخرج، كانت أياماً جميلة والن أسترجع ذكرياتي معه وسط بستان جميل وشاسع، يدري جيداً أنني من محبي الطبيعة والخضرة يدري جيداً تفاصيلي لكن أحياناً كان يتظاهر عكس ذلك، ربما لأنه شعر بالملل مني أو أنه كان مضغوظاً بالعمل، لم أشعره أبداً بالضيق أو حتى بالسيطرة على حرئته، لكنه كان يتعد عني بشكل تدريجي وعندما لا أكلمه يغضب ويلومني على إهمالي.

كان ينظر إلي طوال الوقت منذ وصولنا قطع الصمت الذي بيننا ثم قال:

- أشعر بشيء قد تغير فيك، سألته:
- ماذا تقصد؟ هل لأنني قبلت الخروج معك؟ قال:
- كنت أتوقع موافقتك للخروج معي لكن ما أقصده هو خطيبي السابقة كانت مفعمة بالحيوية والنشاط وكانت ساذجة بعض الشيء، أما الآن أصبحت ناضجة حتى إنك منغلقة على نفسك لكن أحبك في جميع حالاتك.
- هل محبته لي من أعماقه أم أنه فقط يحاول أن يرسل لي طاقة إيجابية؟ نظراته كانت غريبة لكن اعترافه دخل في أعماقي اختلطت مشاعري بين الشك والتصديق، قلت له:
- كلمة أحبك عند نطقها لا تأخذ من وقتك أبدا لكن إظهارها والعمل بها صعب جدا، قال لي:
- الصعب هو أن أثبت لك معنويا وماديا كم هو حبي أعمق من المحيط لكن تتحطم تلك التضحيات بكلمة من الشك والسخرية، أنا الآن لا أريد أن أضغط عليك أكثر لكن اعلمي دائما أنني سأكون بجانبك سواء اعتبرني صديقا أو حبيبا.
- لم أجه حينها ولم أنظر إليه حتى، لا أريد أن أرى تعابير وجهه التي تقودني إلى تحريك مشاعري والوقوع مجددا في شبابه، أعرفه منذ زمن بعيد لديه القدرة على لعب أدوار بريئة لإقناع الطرف الآخر كم كان مخطئا وعليه أن يعتذر منه بسرعة حتى لا تسوء المعاملة أكثر، لم أنظر إليه ولا أريده أن يسيطر علي مرة أخرى لكن هناك شعور غامض في داخلي كلما تذكرت تلك

النحلة، نحلة ليست عادية كأنها تريد أن تقول لي شيئاً أو ربما تريني شيئاً، بصراحة لا أدري بالتحديد.

تعبت من الجلوس والتفكير المستمر، وددت أن أتمشى قليلاً وسط الطبيعة الجميلة التي أشعر بروحي تتجدد وسطها، فتحت ذراعي أغمضت عيني واستسلمت لتلك الرياح الدافئة الممزوجة بأشعة الشمس الذهبية، آآه كم أنا سعيدة يا ليت هذا الشعور لا ينتهي أبداً، رسمت ابتسامة على وجهي، ذلك النقاء والصفاء الذي شعرت به تمنيت استمراره، لكن سرعان ما أتت تلك النحلة في دماغي شوشتني وجعلتني أعقد حاجبي، اختفت ابتسامتي، لماذا هذا الشعور المفاجئ؟ فتحت عيني رأيت أمامي نزار، هل للنحلة ارتباط مع نزار أم فقط صدفة؟ أذكر أول مرة رأيتها شعرت بالخوف الشديد فقط لأنني لا أعرف سبب هذا الشعور، قال لي:

- أظن أنها ستمطر، لنعد للمنزل.

لم أحبه تلك اللحظة، ليس لدي السبب الوجيه لطرده نهائياً من حياتي، لا أريد أن أتسرع في قبول وجوده معي لم يعد راحة لي بل أصبح يزيد من قلقي، ماذا يريد أن يأخذ مني؟ لماذا ظهر فجأة في حياتي تزامناً مع ظهور النحلة؟ أصبحت أبالغ في شكّي وتفكيري.

أخذت حقيبتني وسبقته إلى السيارة، جلست متكئة أنظر لتجمع الغيوم، بدت الطبيعة معتمة وحزينة كأنها تعبر عن إحساسي ومزاجي، لم يعجبني تقلب الجو، أردت أن أتفقد

الساعة في هاتفي الخلوي، انزلق من يدي أسفل الكرسي و لأن الإضاءة ضعيفة داخل السيارة بدأت أتحمس مكانه بيدي هنا وهناك، فوجئت بلمس شيء غريب أخرجته من تحت الكرسي نظرت إليه باستغراب فاتضح أنها سكينه طويلة وملطخة بدماء قليلة، خفت جدا لم أتوقع أن تكون أداة حادة كهذه في سيارة نزار، أرجعتها تحت الكرسي بسرعة قبل أن يراني، دخل إلى السيارة وطلبت مساعدته في إيجاد هاتفي لأنني متعبة قليلا أشعل الكاشف بحث قليلا ثم أعطاه لي، لم أسأله عن سبب إخفائه لتلك السكينه ولماذا هي ملطخة بالدماء هل هي دماء حيوان أم بشر؟ زاد قلقي أكثر فقررت أن أضع بيني وبينه حاجزا سميكا لأنني لم أعد مرتاحة لوجوده بجانبني بعد الآن لكنني صابرة.

طوال الطريق منظر كثيب وأمطار غزيرة وشوارع شبه خالية وشوارع مبللة، أنظر إلى هذا المشهد المعتم الذي يعبر عما بداخلي بوضوح، كسر الصمت وقال:

- هل أصبح الصمت صديقك؟ أجبته دون أن أنظر إليه:
- صحيح، الصمت أفضل صديق لي حاليا لأنه يفهم شعوري الداخلي ويرضيني كيفما أكون لأنه الشيء الوحيد الذي أصبحت قادرة على التعبير عنه.

لم يجبني ولم أرد أن يجيبي لأنني سئمت منه ومن أحاديثه غير المطمئنة، وأخيرا وصلت إلى المنزل قبل نزولي من السيارة أمسك يدي وقال:

- أراك غدا؟ أجبته:

- عندما أكون شاعرة سأكلمك لدي عمل أقوم به وشكرا لإيصالك.

خرجت دون أن ألتفت إليه، لم أنتظر ذهابه وأنا مبتسمة وسعيدة بل هرولت بسرعة إلى البيت وأغلقت الباب بإحكام، لم أعد أشعر بالأمان لوجوده في حياتي. اتجهت إلى غرفتي استلقيت فوق السرير تنهدت وأغمضت عيني، غلبني النعاس ثم نمت. على الساعة الثامنة صباحا استيقظت على رنين المنبه لأجد الغرفة مقلوبة رأسا على عقب، ما الذي جرى؟ لماذا هذه لفوضى؟ وكيف؟ لم تكن هكذا ليلة البارحة، هل بسبب تلك النحلة؟ لا، لا كيف يعقل ذلك ليس كل شيء له علاقة بتلك النحلة، هل دخل سارق؟ لكنني أغلقت الباب جيدا، ما هذا يا ربي؟ أسرع في الاتصال بنزار، طلبت قدومه فوراً إلى منزلي لم أقدر على استيعاب هذا الذي طرأ دون أن أشعر بذلك، جلست مصدومة وحائرة أنتظر قدومه، رن الجرس فتحت الباب بدون شعور ضممته بقوة وكأني أختبئ من خوف مجهول يلاحقني، بدأ يواسيني بصوته الحنون لم أقدر على تركه، حملني فوق الأريكة طلب مني الانتظار قليلا ليتفقد الأمر، بقيت محدقة في باب الغرفة إلى أن خرج منها، جلس بجانبني نظر إلي بعمق، كان هناك بريق غريب في عينيه لم أره من قبل، سرحت في نظراته دون كلام دون أن أسأله ماذا رأيت هناك دون أن أزعج نفسي بالقلق اختفى إحساسي السلبي بمجرد أن أتى إلي مسرعا ومهت ما فكرت في ثانية بما قررته البارحة في قطع علاقتي به وأن أضع حاجزا بيننا،

شعور مختلف اليوم لماذا؟ هل لأنني لا أعرف أحدا سواه؟ أم لأنني ما زلت أحبه؟ أم لأنني ضائعة؟ أم لأنني ضعيفة أحتاجه بجانبني؟ سقطت دمعة فأنهت بالبكاء ضمنني إليه ثم قال:

- سأكون دائما بجانبك حتى لو لم يحصل شيء، أجبته:
- شكرا لك يا نزار، بدونك لا أعرف ماذا أفعل. قال لي:
- لا تشكريني لأن ما بيننا أكبر من الشكر بل هي هبة سماوية قوية لن نفرقنا مهما حصل. قلت له:

- تذكرت ما حصل البارحة، أصابني توتر شديد ألقيت بجميع الأغراض في الأرض ورميت كل شيء هنا وهناك، أسفة لقد جعلتك تنظف الفوضى التي أحدثتها لست مضطرا للفعل ذلك، ابتسم لي ثم قال:

- لا بأس.

اطمأنت لكلامه لكن تذكرت لماذا لم تأت النحلة؟ حضورها يأتي بوجود نزار، هل كان كل هذا محض تخيلات؟ فقط أردت أن أنسى ما حصل وأن أوقف تفكيري ولو للحظة وأن أعيش حاضري بلا تفكير ولا أي شيء، التفت إلى نزار كانت خلفه مباشرة نعم إنها هي تلك النحلة الغريبة المخيفة حدقت في مباشرة تجمدت في مكاني لماذا أنا الوحيدة التي أراها؟ شعور غريب بداخلي، لم أستوعب ما رأيته بل ضعت كليا تمنيت الموت على أن أعيش كل يوم في قلق وخوف، شعرت بدوار مجددا حملني نزار إلى غرفتي، استلقيت قليلا لم أعد أشعر بأني إنسان يعيش حياته بشكل طبيعي، عملي لم أعد أستطيع الاستمرار فيه،

أصبحت جثة لا نفع لها في هذه الحياة، زملائي كانوا يتصلون بي في البداية كنت أرفض الرد عليهم لم يعد هناك اهتمام من طرفهم بعد ذلك، بعد دخول النحلة إلى حياتي لم أعد مرتاحة ابداً، عودة نزار إلي أشع رتني بالضيق بين أن أكرهه وأن أحبه، لا أعرف ما الذي يحصل لي، سامية صديقتي الوحيدة سافرت ولم تفكر في الاتصال بي ولو مرة، أنا حزينة جداً مريضة وضعيفة، وجودي أثقل سيورة حياتي نحو الطريق الصحيح للأسف لم يعد للسعادة مكانة في قلبي.

نهضت من على فراشي كان كل شيء مرتباً، هل ما رأيته كان حقيقياً؟

سألت نزار:

- ما الذي يجري يا نزار؟ هل رأيت الغرفة قبل قليل؟ ربما دخل سارق أخذ شيئاً أليس كذلك؟ أجابني:

- لكنني نظفتها ورتبتها لك حتى تشعرني بالراحة، قلت له:

- أريد أن أقول لك شيئاً لكن يبقى سرا بيننا. نظر إلي باهتمام

وقال:

- بالتأكيد فقط افتحي لي قلبك ولو مرة وأفصحي عما بداخله أريد أن أساعدك.

فكرت ملياً هل من اللائق أن أفتح معه موضوع النحلة التي أراها كلما حضر إلى منزلي، لكنني تراجعت عن ذلك وقلت له:

- أنسى الأمر لا داعي لأن تعرف، قال لي:

- لا تفعلني ذلك فقط ق ولي ما يدور في رأسك وما يشعر به قلبك فقط ق ولي، قلت له:

- السر هو أنني أصبحت مرتاحة أثناء وجودك معي استغرقت وقتا لكي أدرك ذلك.

تعاير وجهه كانت جامدة وبؤبؤ عينيه أضحى واسعا وكأنه دهش من كلامي، سألته:

- لماذا تنظر إلي هكذا؟ أجابني:

- لم تعترفي بمثل هذا من قبل هل تعلمين مدى سعادتي في هذه اللحظة؟ ابتسمت قائلة:

- إحساس قديم منذ أيام الجامعة خبأته لنفسني حاولت أن أنساه لكن لم أستطع، لم أعرف أحدا سواك وليس لدي الرغبة في معرفة شخص آخر، عدني بأن تصارحني بكل شيء مهما كان تافها وليس مهما فقط كن صادقا معي، أمسك يدي واقترب مني قائلا:

- أعدك بذلك لن أجرحك مهما حدث سأثبت لك ذلك وا لن سأتركك لترتاحي سأزورك غدا تصبحين على خير.

ابتسم لي وغادر المنزل، لم أشعر بالارتياح لاعترافي بذلك، لكن ظهوره في كل مرة يقلقني، حتى إني شعرت بالراحة لوجوده لكن ظهور النحلة يرتبط به ارتباطا وثيقا، تلك النحلة هل هي أحاسيسي العميقة التي لم أكتشفها بعد؟ سؤال ثم سؤال ثم سؤال لا وجود لإجابة واضحة.

في الصباح الباكر استيقظت قبل رنين المنبه على غير العادة تناولت فطوري ربت منزلي ارتديت ملابسي وذهبت إلى العمل لم أقرر ذلك ليلة البارحة ولم أفكر فيه أبدا، ركبت سيارة أجرة أنظر إلى تلك العمارات الشاهقة والاكظاظ في الشوارع، أطفال يلعبون، متسولون في أزقة شبه مظلمة، أناس يهرولون مسرعين لكسب لقمة العيش، متاجر تنتظر الزبائن، مقاهي ومطاعم مكتظة، أنظر إلى كل هذا وكأني أراه لأول مرة، لم أشعر بطول الطريق إلا عندما قال لي السائق:

- لقد وصلنا، الحساب رجاء.

قبل دخولي إلى مقر عملي تملكني حماس غريب ممزوج بتوتر دغدغني في بطني كيف سيستقبلني زملائي بعد هذا الغياب؟ عند دخولي ف رح زملائي لوجودي رحبوا بي بفرح وسرور، سعدت لاهتمامهم بي لم أتوقع ردة فعلهم عند رؤيتي شعرت بأني كنت أضيع وقتي وأغرق نفسي في أوهام كبيرة ومشاكل وهموم لا نفع منها، الحمد لله تداركت الوضع وهأنا أعود إلى حياتي الطبيعية رويدا رويدا، كم اشتقت إلى أجواء العمل، اتصالات كثيرة تعاملات خارجية لا تنتهي دماغ مشغول بملفات جديدة... كل هذا كان متعبا لكنه متعة حقيقية وتوتر واقعي ينتهي اليوم بسرعة أذهب إلى المنزل تفكي ري يشغله فقط العمل ثم العمل كنت أشتكى من ذلك، لكن الآن سأقبله بصدر رحب.

اتصل بي نزار وقت الغداء فاجأته بأني عدت إلى العمل مرة أخرى، دهش لسماع ذلك شجعني على الاستمرار في العودة

للعيش بشكل طبيعي، كان زملائي يتناولون الغداء بجانبني عندما فاجأنا خبر سار دعوة زميلتنا إلى منزلها للاحتفال بخطوبتها، لكنني اعتذرت عن الحضور فقط لأنني ما زلت لم أعود على التجمعات في المناسبات، أقنعني زملائي بعد رفض متكرر، صحيح أول يوم في العمل بعد معاناة نفسية ليس بالأمر السهل. عدت إلى العمل نسيت نفسي بداخله، لم أتوقع أنني سأنسى بهذه السرعة فقط لأنني أردت ذلك، أعدت علاقتي مع زملائي ومع العملاء، حياتي الاجتماعية بدأت تعود تدريجياً.

حل المساء وجدت نزار أمام مقر عملي ينتظري، لم يتصل بي قبل ذلك لكن حض وره دائماً مفاجئ يشعرنى للوهلة الأولى بعدم الارتياح لكن بعد ذلك أنسى الأمر وأتجه نحوه، صعدت إلى السيارة اعتقاداً مني أنه يقلني إلى المنزل لكن أراد مفاجأتي لدعوة عشاء، لم يكن هكذا من قبل لقد تغير كثيراً أصبح أكثر قرباً مني واهتماماً، لم أتوقع منه هذا لكن يبقى الشك يأكلني في أعماقي اتجاهه كلما أراه، وصلنا إلى المطعم كان مألوفاً بالنسبة لي، دخلنا إليه كان مطعماً فاجراً تصميمه باللون البني، زواياه جميعها مرايا لامعة، الطاولات والكراسي مزينة بغلاف أبيض، في وسط الطاولة زهرة حمراء وبجانبتها شموع رائحتها منعشة، أما النوادل لهم تسريحة مميزة وبدلات أنيقة يرحبون بالزبون بطريقة مهذبة، ابتسمت بدون قصد لاحظ نزار اندهاشي وكأني أول مرة أرى مطعماً في حياتي، اخترنا مكاناً بجانب النافذة تحت أضواء خافتة، سألني نزار:

- هل أعجبك المكان؟ أجبته:
- المطعم مألوف بالنسبة لي لا أدري أين ومتى جئت إليه،
قال لي:

- صحيح، إحساسك في محله هذا المطعم قبل 7 سنوات كان
له تصميم آخر هو المكان الذي تركتني فيه وذهبت، قلت له:
- شعرت بشيء وثيق عند دخولي على أي حال شكرا لك
أجابني:

- بل شكرا لك أنت، فزت بفرصة أخرى لأكون بجانبك لم
أتوقع رجوعك إلى العمل دهشت عند سماعي كيف حصل
ذلك؟ قلت له:

- لم أفكر في الأمر كثيرا استيقظت كالعادة وذهبت إلى العمل
هذا كل شيء، قال لي:

- أرايت؟ التفكير الزائد يؤرق صاحبه ويجعله متوقعا عن
الحياة الطبيعية حتى إنه يرى كل شيء وكل الناس بنظرة مريضة
وسوداء.

أتى النادل ومعه أطباق مختلفة لم أذكر أنني طلبت شيئا لكن
نزار قرر بنفسه طلب أطباقا مختلفة وخاصة، سألته:

- هل طلبت قبل حضورنا؟ أجابني:
- نعم طلبت طبقك المفضل فواكه بحرية مختلفة، ابتسمت
وقلت له:

- أصبحت تهتم بأدق التفاصيل التي تتعلق بي، ما الذي جرى
وما هذا التغيير؟ قال لي:

- لأنني أحببتك من أعماق قلبي لم أكن أشعر بالأمان حينها ولكن لم يعد شيء يخيفني أو يجعلني أتردد أجبتة:

- صحيح، لكن أشعر أحيانا أنك لست صادقاً معي البتة، تفاجأ وقال لي:

- أنا صادق معك كيف لي ألا أكون كذلك، قلت له:

- إذا ما قصة ذلك السكين الموجود تحت كرسي سيارتك؟ توقف عن الأكل جحظت عيناه لم يتوقع سؤالني لكنه سرعان ما أخفى تعابير وجهه المصدومة وأجابني:

- كل الناس لديهم سكين أو مسدس في سيارتهم تحسباً لأي خطر أو أي حادث، قلت له:

- تعابيرك لا تدل على أنها أداة لتحسب لو لم أجدته بنفسني لم أكن أتوقع إخبارك لي بوجوده، غضب قليلاً ثم قال:

- أتينا إلى هنا لكي ننسى أي شيء سلبي مر أو يمر في حياتنا من فضلك غيري الموضوع.

نظرت إليه مطولاً ذلك الشك البسيط في أعماقي أصبح يظهر مخالبه، شعرت بأن شيئاً يخفيه عني لكن ما هو؟ أتت النحلة مجدداً إنها وراءه مباشرة، يا إلهي! كم هي كبيرة هذه المرة لم أرتعب منها بل أردت أن أعرف سبب حضورها، كل مرة تنظر إلي بعمق وكأن جزءاً منها يدخل في عقلي ويستحوذ عليه، إحساس سلبي مباشرة يذكرني بنزار وكان ذلك الإحساس ممزوج بنظرة تلك النحلة نتيجه نزار، الشك اختفى ليحل محله اليقين، نظر إلي نزار مرة أخرى مستغرباً، سألني:

- ماذا بك؟ هل أنت بخير؟ أجبته:

- أنا بألف خير، الطعام لذيد.

ابتسم لي ولكن ابتسامتي له كانت مزيفة، ابتسامه منافقة شعرت بداخلي بالقوة لكن وجوده سأعتبره مصلحة لي .
انصرفنا من المطعم كان الجو صافيا، كانت ليلة دافئة وجميلة، وصلت إلى البيت بعد توديعه، دخلت إلى غرفتي غيرت ملابسني جلست أقرأ كتابا عنوانه "كيف تتخلص من نفسك" عنوان فريد من نوعه لكن ما شدني إلى قراءته كلام الكاتب، كان غريبا بعض الشيء رسالته للقارئ تخلص ما يعيق الإنسان وما يجعله جاهدا في الوصول إلى ما يريد مهما كانت الطرق سواء سلبية أم إيجابية لكن تبقى النهاية هي الموت الموت هو المحفز للعيش والاستمرار لكن بشرط أن يعرف الشخص هدفه لكي ينهي نفسه بيده ليظهر للجميع كم كان يضحى من أجل الوصول، يبدو أن الكاتب خاض تجارب قاسية أدت به إلى كتابة ما شعر به من آلام ومواجهتها مهما كلف الأمر جميل أن يعيش الإنسان بطريقته الخاصة لكن تجاوز ذلك إلى أذية الآخر لكي يثبت أنه جاهد كثيرا للوصول، تبدو فكرة ساذجة وليست في محلها، كتاب قد يعبر عن النوايا المختلفة لكل قارئ، لكن لم أجد ما يعبر عني حتى في الحياة الواقعية أشعر بتحسن لكن تختلط علي مشاعري أحيانا أخرى خصوصا عندما تظهر تلك النحلة الغريبة، لا أدري إذا كان حضورها يعبر عن أجواء عاطفية معينة أم أنها تظهر بسببي عندما أحاول التفكير والغوص بين الشك واليقين، بصراحة

أشعر بذلك أثناء تواجدي بالقرب من نزار كأنه يوصل لي مشاعر وأفكار تجعلني أتخطب بين التصديق والكذب، يا إلهي منتصف الليل يجب أن أخلد للنوم، التفكير الكثير لن يريحني لكن سأتجاوز ذلك بعد معرفة حقيقة تلك النحلة.

في الصباح الباكر تلقيت اتصالا من رقم مجهول أول مرة بعد خروجي من أزمتي النفسية أتلقى اتصالا من غريب، لم أعر ذلك اهتماما مبالغا، كعادي تناولت فطوري وغيّرت ملابسني وانصرفت من المنزل باتجاه العمل، عند وصولي مباشرة تلقيت اتصالا من ذلك الغريب مرة أخرى ترددت في الرد لكن في الأخير وضعت السماعة على أذني، إنه صوت رجل قال لي:

- أنت التالية. ثم انقطع الخط، أطراف أصابعي تجمدت لم أعد أشعر بها، جلست فوق كرسي مكتبي ضاقت أنفاسي اختنقت لكن سرعان ما دخلت زميلتي يارا لتقول لي صباح الخير فتغيرت ملامحي فجأة كي أخفي توترتي، أحببتها بابتسامة:

- صباح الخير، ماذا لدينا اليوم؟ أجابتنني:
- اجتماع مع المدير على الساعة 11 وأيضا سيزورنا وفد من الخارج لتفقد بعض الأعمال التي تتعلق بالشراكة، أحببتها:
- شكرا لك، فقط أخبر ريني وقت الغداء لتتناوله مع بعضنا.
حركت رأسها بالإيجاب وانصرفت، عاد ليشغل بالي ذلك الاتصال، هل اعتبره تهديدا؟ من أعطاه رقم هاتفي؟ هل كنت مراقبة طوال هذه المدة؟ اختلطت علي الأسئلة لم أعد أعرف ماالذي جرى وما الذي يجري، تمالكت نفسي وحاولت أن أنساه

لأن العمل كثير لا يجب أن أضيع وقتي. كنت أنتظر وقت الغداء بفارغ الصبر كي أتحدث مع يارا عن ذلك الاتصال الغريب وجدتها تنتظري في المقصف قبل حتى أن أتناول لقمة واحدة قلت لها:

- أريد أن أقول لك شيئاً لكن يجب أن يبقى سرا بيننا، نظرت إلي بانتهاء وأجابتنني:

- تفضلي قولي ما الأمر لقد شوستني، قلت لها:

- تلقيت اتصالاً صباح اليوم من غريب، كلامه لا أعرف إذا كان بإمكانني أن أعتبره تهديداً أم لا، سألتني:

- ماذا قال؟ أجبتها:

- أنت التالية، قالت لي:

- يجب أن تذهبي إلى الشرطة للتبليغ عن هذا الأمر لا يمكن أن تتجاوزيه ببساطة، قلت لها:

- إذا اتصل بي مرة أخرى سأذهب غداً إلى الشرطة مباشرة إذا لم يتصل سأعتبر بأنه اتصال خاطئ، قالت لي:

- سأذهب معك فقط أعلميني بذلك، قلت لها:

- حسناً.

شعرت بالاطمئنان لأن يارا كانت بجانبني وتحاول مساعدتي بما أنني وجدت من يقف بجانبني لم أعد أشعر بالتردد تشجعت وأتممت يومي في العمل براحة، لكن فجأة اتصل ذلك الغريب مرة أخرى ليقول لي بأن أكون حذرة، أجبته:

- من أنت؟ وماذا تريد؟ أجابني:

- فقط استمعي لما أقوله لك واحذري منه، أجبته:

- على من ترمي؟ أجابني:

- احذري... فقط ثم انقطع الخط، يا إلهي يجب أن أتوجه إلى الشرطة مباشرة، خرجت من العمل استلقيت سيارة أجرة لكن نسيت أن أخبر يارا لأني وعدتها، اتصلت بها أخبرتها أن تلحق بي لأن ذلك الغريب اتصل مرة أخرى، أنهيت مكالمتي معها ليتصل الغريب بعدها، قال لي:

- لا تحاولي الذهاب إلى الشرطة لأن ذلك لن يعود بالنفع عليك ثم أغلق الخط.

هل يجب أن أعود؟ كيف علم بأني ذاهبة إلى الشرطة؟ عند وصولي ترددت في الدخول هل أنتظر يارا أم أعود إلى المنزل؟ اتصلت يارا بي أخبرتها ما قاله لي، قالت لي:

- ابقِي هناك سأصل قريباً.

فعلت ما طلبته مني يارا انتظرت 20 دقيقة عند رؤيتها ركضت

نحوها قالت لي:

- لندخل معاً.

دخلنا ثم وجهنا أحدهم إلى مكتب الشرطي المخصص
بالبلاغات انتظرنا قليلا ثم دخلنا إلى مكتبه، قال لنا:

- هل تريدون التبليغ عن أحد ما؟ قالت له يارا:
- نعم، عن رقم غريب هدد زميلتي صباح هذا اليوم، سألني:
- هل لديك فكرة عمن يكون أو ربما صوته مألوف عندك؟
أجبتة:

- صوته غريب ولا أعرف من يكون يعني لا أعرف أحدا غير
زملائي وخطيبي السابق، سألني:

- هل أخبرت خطيبك السابق عن هذا الغريب؟ أجبتة:
- لم أفعل ذلك ولا أريد أن أدخل أطرافا أخرى في مشكلتي
كما أنني اعتبره من الماضي الآن نحن أصدقاء فقط، سكت لبعض
الوقت ثم قال لي:

- امم، أرني الرقم سأخبر المختصين في إيجاد موقع هذا
الشخص وهويته وسنعلمك بما توصلنا إليه.

شكرناه على ذلك وخرجنا من مقر الشرطة، اطمأنت أكثر
لوجود يارا بجانبني وأيضا ستتولى الش رطة البحث عنه، قالت لي
يارا:

- سيكون كل شيء على ما يرام لا تخافي ولا تنسي أن
تحضري دعوة زميلتنا، الخطبة غدا أتمنى أن أراك جميلة كالعادة
بفستان المناسبات، ضحكت وقلت لها:

- إن شاء الله سأحضر ربما سأتأخر قليلا لأنني أريد أن أظهر
مثالية وفخمة أمامكم، ضحكت يارا بأعلى صوتها وقالت لي:

- هذه هي الثقة التي أريدك أن تظهرها لا تهتمي واعتني بنفسك.

كلام يارا وحضورها أشعراني بالإنجابية افترقنا أمام مقر الشرطة، اتصل بي نزار لكي يقلني إلى المنزل لم أرد أن أخبره بمكاني كي لا يشك بشيء، أخبرته بأني سأذهب إلى شراء بعض الأغراض أولا ثم ألتقي به.

كان يوما صعبا ومضغوطا وصلت إلى محل تجاري بالقرب من منزلي، اشتريت بعض الخضروات والفواكه والجبن والحليب وقطع الخبز المحمص، دفعت ثمن مشترياتي وخرجت متجهة إلى المنزل، كان على مسافة ليست ببعيدة شخص واقف يراقبني يرتدي نظارات سوداء، أخافني مظهره هرولت بسرعة دون أن ألتفت ورائي، كدت أسقط لكن تماكنت نفسي وتابعت السير إلى منزلي، شعرت في تلك اللحظة أنني مراقبة من طرف أناس لا أعرفهم، لماذا يا ربي يحصل هذا؟ وأخيرا وصلت إلى منزلي فتحت الباب ودخلت مسرعة رميت مشترياتي على الأرض تعبت كثيرا ما أسوأ أن تكون مراقبا أينما ذهبت، شعور انعدام الأمان أسوأ شيء قد يحصل للإنسان، تذكرت أن اتصل بنزار لكن سرعان ما تراجع عن الفكرة ليس كل شيء يجب أن يعرفه نزار وخصوصا أنني أصبحت أشك به مؤخرا، حاولت الاتصال يارا لكن الخط كان مغلقا، أشعلت التلفاز لكي أنسى ما حصل رقم غريب آخر يتصل بي، خشيت أن يكون نفس الشخص ارتعبت ترددت لم أعرف ماذا أفعل، لكن في الأخير أجبته على

الاتصال دون أن أصدر أي صوت، سمعت صوت خشخشة وأصوات بعيدة تتكلم لم أفهم ماذا يقولون لكن صوت مألوف من بينهم لا أذكر أين سمعته ومتى ولكنه مألوف لي ثم انقطع الخط فجأة، استغربت من هذا الاتصال، هل كان نفس الشخص أراد أن يجعل حياتي رعبا ويضعني تحت الضغط والتهديد؟ قررت صباح اليوم التالي أن أعود إلى مقر الشرطة وأبلغ عن هذا الأمر أيضا لأنني لا أستطيع أن أعيش حياتي هكذا، أشخاص مجهولون يضايقونني كل مرة وكل ساعة، لم أذق طعم النوم الليل بطوله أفكر وأفكر...

بعد أرق الليل بطوله حل الصباح مع ظهور أشعة الشمس الذهبية لم أذكر أنني نمت ليلة البارحة ولم أرغب في تناول فطوري، ارتديت ملابسني اتجهت مباشرة إلى مقر الشرطة، بلغت عن مضايقة أخرى لكن الشرطي قال لي:

- لم نتوصل إلى هوية ذلك الشخص المجهول لكن كانت هناك إشارة تدل على المكان الذي اتصل منه ذلك الشخص مكان خارج المدينة بالقرب من الغابة الغربية، سألته:
- أين بالضبط بالقرب من الغابة الغربية؟ أجابني:
- ليس بعد لم نتوصل إلى المكان بالتحديد.

خرجت من مقر الشرطة اتصلت بيارا لكي ألتقي بها في المقهى قرب المركز التجاري وسط المدينة، وصلت هناك أولا انتظرها بضع دقائق جاءت إلي مندهشة من سبب اتصالي بها، قلت لها:

- اليوم خطبة زميلتنا لن أستطيع الحضور هل بإمكانك إعطاؤها هديتي وأن توصلني تهاني لها؟ سألتني:

- لماذا؟ الآن تأتي معي لحضور هذه المناسبة؟ أجبتهما:

- لقد تلقيت اتصالا البارحة من رقم مجهول، ذهبت إلى الشرطة اليوم قالوا لي بأن البلاغ الأول لم يتوصلوا إلى هويته ولكن توصلوا إلى المكان الذي اتصل منه، قالت لي:

- رغبت أن تحضري كنت متشوقة لذلك، قلت لها:

- لا بأس في المرة القادمة سنعوض كل شيء، وسنسافر مع بعضنا أيام العطل الصيفية، لكن يجب أن أفعل شيئا تجاه هذا الأمر يجب أن أعرف ما يحصل.

ضممتني إلى صدرها وقالت لي:

- اعتني بنفسك سأكون دائما بجانبك فقط اتصل بي كثيرا حتى أتحقق من سلامتكم.

افترقنا هناك شعرت بأني سأخوض تحديا نتيجته الحياة أو الموت، رجعت إلى المنزل فتحت المرآب ركبت سيارتي وذهبت إلى المكان الذي أخبرني عنه الشرطي لأكتشف ذلك المكان.

كانت المسافة بعيدة والطريق شبه فارغة لا أعرف ما إذا كنت سأصل إلى عين المكان أم لا، تهت قليلا بين تلك الأشجار أنظر هنا وهناك، خشيت أن يظهر حيوان مفترس أو شخص غريب يؤذيني، أردت الرجوع إلى البيت لكن سرعان ما تشجعت واستمررت في البحث، في عمق تلك الغابة بيت كبير وجميل

ذهبت اتجاهه لأسأل عن الطريق الذي سيخرجني إلى الطريق العامة ظهر أمامي البستاني واستغرب لوجودي، سألني:

- هل أخدمك في شيء؟ أجبته:

- لقد ضعت قليلا بين هذه الأشجار لا أعرف المكان جيدا

هل يمكن أن توجهني إلى الطريق العامة؟ أجابني:

- الطريق العامة باتجاه الشمال لكن ستقطعين مسافة طويلة

للوصل، سألته:

- أشعر بالفضول حول هذا المنزل هنا، هل يسكن أحد هنا أم

فقط أنت؟ أجابني:

- هذا المنزل قديم صاحبه توفي منذ زمن، لا يعرف أحد مكان

هذا المنزل ولا يأتي أي أحد هنا، أعيش أنا وعائلي بالقرب منه

وأتي إلى هذا المنزل أعتني به كما ترين عجوز مثلي لا يستطيع أن

يسكن لوحده، قلت له:

- لأكون صريحة معك وردني اتصال قبل يومين اتصال من

غريب ورقم مجهول كلامه كان فيه نوع من التهديد بلغت الشرطة

عن ذلك فوجدوا أن الاتصال كان مصدره من هذا المكان،

بحثت طويلا لم أجد غير هذا المنزل، قال لي:

- لا أعرف شيئا عن هذا الأمر ولكن قبل شهر كان يأتي

شابهنا يقال إنه ابن صاحب المنزل كان يأتي مع فتاة يقال إنها

خطيبته هذا كل ما في الأمر، سألته:

- هل ما زال يتردد على هذا المنزل؟ أجابني:

- لم أره منذ شهر ونصف تقريبا بعد ذلك أصبح يأتي لوحده.

لا أعرف لماذا شعرت أن الشخص الذي تكلم عنه كان نزار شكوكي تذهب إليه مباشرة، أردت أن أريه صورته لكن تراجعته عن الأمر، ودعت السيد العجوز وسلكت طريق الشمال وأخيرا عدت إلى المنزل لكن قبل ذلك اتصلت بنزار أخبرته بأني أود أن ألتقي به في منزله ليس لأني أود ذلك بل أردت أن أرى النحلة هناك وراءه مباشرة، قال لي:

- سأتي إليك فوراً لا تقلقي، أجبته:

- لا أنا بالخارج فقط أود أن نلتقي في منزلك إذا لم يكن

لديك مانع، قال لي:

- لا بأس سأكون بالمنزل بعد 20 دقيقة.

انتظرته قرب منزله أتى متأخراً، لم يقل لي سبب تأخره ولم يعتذر عن ذلك بل كان غاضباً بعض الشيء، فتح باب بيته ودخلنا أول سؤال طرحه علي هو:

- لماذا تريدان مقابلي في منزلي؟ أجبته:

- فقط اشتقت إليك، أأست سعيداً بهذا الخبر؟ أجابني:

- سعيد جداً لكن الوقت غير مناسب للتحدث عن هذا الأمر

لدي أعمال كثيرة تنتظرنني، اعتبري البيت بيتك لأني بعد

ساعة سأذهب لمقابلة بعض الأشخاص، هناك أمور تتعلق

بالعمل، اقتربت منه نظرت إلى عينيه وقلت له بهمس:

- وأنا؟ تتركني وحيدة هنا لقد اشتقت إليك هل يرضيك

ذلك؟ قال لي:

- اشتقت إليك أيضاً ولكني مضغوط بالعمل أسف.

تفوح منه رائحة البنزين على حد قوله كان في العمل، لكن لماذا هذه الرائحة؟ فجأة كما توقعت ظهرت تلك النحلة، شعرت هذه المرة بأنني نومت مغناطيسيا دخلت في عقلي ثم بلمح البصر شعاع أخذني إلى مكان مظلم بحثت هنا وهناك مكان مخيف لماذا أنا وحدي هنا؟ ما الذي جرى؟ أنظر هنا وهناك فجأة شخص واقف أمامي، إنها فتاة شكلها مألوف لدي لكن الظلمة لا تساعدني على الرؤية بشكل أفضل. اقتربت منها قليلا نظرت إلي إنها سامية لم أعد أرى النحلة هل أصبحت النحلة على هيئة سامية؟ يا إلهي!

صديقتي الحبيبة لماذا هي هنا؟ اقتربت مني وقالت:

- كلما كنت تلتقين بنزار كنت أظهر خلفه من فضلك اكتشفي نواياه، ابحثي عني.

كلامها أيقظ وعبي بسرعة فائقة وأنا واقفة في مكاني تجمدت أطرافي لم أعد أقدر على السير، هل تلك النحلة كانت سامية طوال هذه المدة؟ أذكر أنني ذهبت معها إلى المطار لقد سافرت إلى بلد أجنبي لماذا ظهرت فجأة هكذا؟ نحلة على هيئة سامية وسامية على هيئة نحلة، لم أعد أعرف ماذا أفعل "ابحثي عني" ماذا تقصد بهذا القول؟ وماذا تقصد بكشف نواياه؟ هل شكوكي تجاه نزار كانت في محلها؟

انتظرت خروجه، تبعته بسيارتي، اتجه نحو الطريق السيار ثم انعطفت يمينا يسلك الطريق العامة، ثم توجه إلى ذلك المكان، نعم إنه هو لكن الطريق الذي سلكه اختلف عن الطريق الذي

سلوكته في البداية، وقفت بسيارتي بعيدا راقبته إلى أن دخل إلى ذلك المنزل، أكلني الفضول لم أستطع تحمل جلوسي واكتفائي بالمراقبة، أردت دخول المنزل لكي أرى لماذا هو هنا؟ ولأي سبب؟ سرعان ما أتى إلي ذلك البستاني العجوز وسألني:

- لماذا أنت هنا؟ أجبته:

- من ذلك الرجل الذي دخل إلى المنزل؟ أجبني:

- إنه ابن صاحب المنزل الذي حدثك عنه، سألته:

- هل بإمكانك دخول المنزل؟ لقد ترددت في قول ذلك في البداية، أجبني:

- بصراحة لا يحق لأي غريب أن يدخل إلى المنزل دون إذن صاحبه، قلت له:

- من فضلك تعاون معي لن أخبر أحدا عنك، قال لي:

- المشكل ليس في إخبار أحد المشكل هو أن يقبض عليك أحدهم وأطرد من عملي.

فكرت مليا كان من الأفضل ألا أخبره عن إرادتي في دخول المنزل سيشك في كما أن نظراته إلي لم تكن جيدة، إحساس بأني متهمة حتى قبل أن يبلغ عني أو تقبض علي الشرطة، شغلت سيارتي وانطلقت إلى المنزل لم أنتظر خروج نزار من المنزل المهم بالنسبة لي اتضح أن نزار لم يكن صادقا معي أو حتى لم يتحمل عناء إخباري، قررت أن أعود إلى ذلك المنزل مرة أخرى لكن دون إخبار أحد قررت العودة كجاسوسة لكي أرى ماذا يوجد هناك.

وصلت إلى المنزل، اتصلت بيارا أخبرتها بما حصل وكيف جرت الأمور معي، أخبرتها أيضا بما سأفعله المرة القادمة، قالت لي:

- اذهبي إلى الشرطة فوراً وأخبريهم عن ذلك المكان، قلت لها:

- إذا أخبرتهم سأصبح مشتبهاً به وقد يشكون بي ولا أعلم ما بداخل ذلك المنزل، قالت لي:

- حسناً، فقط اذهبي لعلهم يخبرونك عن آخر ما وجدوه عن ذلك الرقم المجهول ومن صاحبه.

أنهيت اتصالي بيارا ثم اتصلت بنزار لكي أعرف أين هو الآن وإلى ماذا يخطط، انتظرت أن يجيبني لكن سرعان ما سمعت رنين جرس الباب، كان نزار، ترددت في فتح الباب لكن في الأخير استقبلته وكأن شيئاً لم يكن، سلم علي ثم دخل إلى الصالة إحساسي أثناء استقباله هذه المرة مختلف، نيتي تجاهه تغيرت أغلقت الباب ابتسمت له ابتسامة مزيفة جلست بقربه سألته سؤالاً روتينياً:

- كيف كان يومك؟ أجابني:

- كان جيداً أتممت عملي وهأنا هنا.

نظرت إليه مطولاً، أصبحت نظراتي له أكثر ثقة أما حديثي أصبح بطيئاً ورسيناً، انتبه لنظراتي له ثم قال لي:

- أرى أن إعجابك بي مؤخراً صار واضحاً وقويماً أصبحت نظراتك لي كالسهوان، قلت له:

- فسرت نظراتي لك كإعجاب ولم تستطع تفسير أعماقي،
قال لي:

- لم يصلني أي إحساس لأفسر أعماقك، قلت له:
- نظرات الإعجاب تفسر بالكلمات الجميلة والرومانسية
لكن بما أني لم أقل أي شيء يتعلق بالرومانسية فلا تقل إن نظراتي
هي إعجاب.

كانت تعابير وجهه حادة قبض على حاجبيه كأنه يتساءل عن
شيء، قال لي:

- تغيرت كثيرا أصبحت أكثر ثقة وأقل خوفا من أين لك هذا؟
أجبت:

- عندما تدرك بأن تلك المياه التي تجري تحت قدميك ليست
صافية تصبح بعد ذلك أكثر حذرا للمواجهة، سألني:

- مواجهة؟ مع من؟

أطلق ضحكة عالية مليئة بالسخرية أجبت:

- ربما معك أنت، من يدري المستقبل يخفي أشياء لم تخطر
بالبال.

ذهبت إلى المطبخ لأحضر الشاي وأنا أفكر في مصيري مع
نزار وكيف أتخلص من وجوده الدائم لأنني أشك في اقترابه مني
قطعت حبل سرحاني بسكب الماء الساخن على الأرض جلبت
منشقة وشرعت في التنظيف، عند انتهائي ظهرت النحلة مرة
أخرى لم تكن وراء نزار بل جاءت إلى المطبخ تنظر إلي، اقتربت
منها أغمضت عيني دخلت إلى مكان مظلم به شعاع من النور

لكنه خافت، سمعت خطوات أحدهم التفت إنها سامية مرة أخرى، ما هذا اللغز الذي أصبحت تظهر فيه سامية مؤخرًا؟ ولماذا؟ اقتربت مني ضممتني ثم قالت لي:
- اشتقت إليك لم تتذكريني منذ ذهابي لكني كنت أتذكرك كل دقيقة.

اختلطت علي المشاعر شعرت بإحساس غريب بدفء كبير شعرت بالبكاء، قلت لها:

- لم أعد أعرف ماذا أقول هل أنت حقًا سامية لم أنساك يا صديقتي الغالية كنت وما زلت أتذكر أيامنا الجميلة ضحكاتنا وأحزاننا، نظرت إليها لمست وجهها بيدي وتابعت كلامي:
- أين أنت يا سامية؟ لماذا نلتقي هنا بالتحديد؟ أجابتنني:
أريدك أن تعي بما يدور حولك ومن يقترب ون منك إنهم أكثر أذية وغدرا، سألتها:
- هل تقصدين نزار؟ أجابتنني:
- فقط احذري.

فتحت عيني والدموع تملأ وجهي، أخذت الشاي إلى الصلاة بدون أي كلام، رشفت القليل منه ثم صعدت إلى غرفتي، لم أرغب في الحديث إلى نزار ولا حتى النظر إليه، تمددت فوق سريري أغمضت عيني ثم نمت.

في صباح مشرق وجميل استيقظت منهكة وكأني بت الليل بطوله أركض مسافات طويلة، الليلة الماضية كانت غريبة أحلامي كانت كوابيس، أشعر بالإنهيار، نزلت إلى الصلاة لم يكن

نزار موجودا جلست فوق الأريكة أنظر إلى السقف، لم أكن أعلم من قبل أن له زخرفات جميلة لا أذكر حتى إني لاحظته في اليوم الذي سكنت فيه لأول مرة، فجأة ذاكرتي قادتني إلى ما حصل البارحة، هل حقا كنت أكلم سامية؟ ماذا كانت تقصد بكلامها؟ أفكر وأفكر حتى رن هاتفي لم أرغب في أن أعرف هوية المتصل ولا حتى أن أجيب لم أكثرت لذلك أبدا بل استمررت في التفكير إلى أن جاء وقت ذهابي إلى العمل، خرجت من منزلي كصنم متجهة إلى عملي، دخلت مقر العمل استقبلتني رانيا بوجه بشوش سرعان ما تغيرت تعابيرها عندما رأني متعبة، سألتني:

- أراك متعبة ماذا بك؟ أجبتها:

لم أنم جيدا لا تقلقي سيمر اليوم بخير، قالت لي:

- الحمد لله رأيتك اليوم لأنني اتصلت بك هذا الصباح ولم

تجيبني، أجبتها:

- كان الهاتف في الوضع الصامت أعتذر، قالت لي:

- لا بأس المهم رأيتك اليوم لنبدأ يومنا ببعض الملفات.

ربتت على كتفي ثم ذهبت إلى مكتبها، ذهبت أنا الأخرى إلى مكتبي، نفسيتي لم تكن جيدة أبدا فكرت في الذهاب إلى الطبيب لكن سرعان ما غيرت رأبي ثم شرعت في العمل، تذكرت يجب أن أتصل بنزار لم أجده صباح هذا اليوم في المنزل، بعد محاولات الاتصال الكثيرة لم يجنبي، تساءلت عن سبب غيابه فجأة وظهوره فجأة عجيب أمره مع أني لست مثل ذلك النوع من النساء اللواتي يتبعن أخبار أحبائهن أو أزواجهن، أظن أنني هذه المرة

سأفعل ذلك أصبح غريبا في الآونة الأخيرة، لم أشعر أنني اشتغلت
 ذاك اليوم كنت جامدة فكريا، أما جسديا كالألة التي تتحرك
 مبرمجة من طرف صاحبها تأتيني ملفات يجب علي دراستها،
 أجد نفسي سارحة في تفكيري المحصور في كل ما حدث أردت
 ولو مرة أن أجد حلقة تربطني بما حصل لأجد ارتباطا وثيقا بين
 كل ذلك لكن ما زلت حائرة وضائعة، دخلت رانيا إلى مكتبي
 وجددني سارحة بأفكاري التي لا نهاية لها، وضعت كفها فوق
 كتفي بهدوء ثم قالت لي:

حان موعد الذهاب إلى المنزل، التفت إليها بدهشة نظرت
 إليها مترددة أجبته:

- أووه لم أشعر بمرور الوقت حسنا لنذهب، سألتني:
- ما الذي يشغل بالك؟ هل حصل شيء مجددا؟ أجبته:
- لم يحصل شيء فقط تراكم الأشياء التي حصلت من قبل لم
 أجد لها تفسيراً وكان الله يختبرني، أشعر بأن شيئاً سيحدث
 يجعلني مصدومة بقية حياتي، قالت لي:
- لا تفكري بهذه الطريقة، إيجابية الإنسان في صبره وتفاؤله
 فقط قوي إيمانك بالله كل شيء سيكون بخير.

كلامها كان اطمئنانا لنفسيتي المشوشة، حملت حقيقتي
 ودعت زملائي وخرجت متجهة إلى المنزل، اتصل بي نزار فجأة
 لم أرغب أن أجيء في البداية لكن بعد تردد أجبته طلب مني أن
 أنتظره أمام مقر عملي كما أخبرني بأن له مفاجأة، فعلت ما طلبه
 مني وقفت أنتظره وأنظر إلى غروب الشمس الجميل لكن

بداخلي قلق يكبر كالوحش كلما حاولت السيطرة عليه يؤلمني، لم أستمتع بالنظر إلى جمال السماء، غلب على قلبي ونواياي وعقلي كل أنواع السواد، شعرت بالضعف لأنني لم أستطع أن أقرر حسم ما يحصل في حياتي، وجود نزار أكبر خطأ مر بحياتي غارقة في تفكيري فجأة أسمع نزار يناديني كأني أسمعه داخل بئر عميق، سرعان ما اتضح صوته في أذني، نظرت إليه اتجهت نحوه فتحت باب السيارة جلست بجانبه لم أشأ أن أحبيه أو أن أسلم عليه كان ظاهراً على وجهي القلق، سألني عن سبب ظهوري بهذه التعبيرات الجامدة، أجبت:

- قلت بأن هناك مفاجأة أتحرق شوقاً لمعرفة، قال لي:

- لم أخبرك من قبل بأن لي منزلاً آخر خارج المدينة بوضع كيلومترات سنذهب هناك وسأطلب....

ثم صمت، انتظرت منه التهمة لكلامه لكنه سكت فجأة ثم انطلق بالسيارة باتجاه ذلك المنزل المزعوم، شككت بأنه قد يكون ذلك المنزل الذي ذهبت إليه سابقاً وسط الغابة، أعرف أن إحساسي قوي لم يخيبني يوماً، بدأ القلق يشتد، يداي ترتجفان كان يجب أن أرفض طلبه لكنني وافقت فقط فضولاً مني لمعرفة ما الذي يخبئه نزار عني.

وصلنا إلى عين المكان، نعم إنه هو، ذلك المنزل داخل هذه الأشجار الكثيفة، ذلك الحارس الذي تكلمت معه سابقاً لم يكن موجوداً أين هو يا ترى؟ دخلنا إلى المنزل كانت مساحته واسعة أثنائه باهظ الثمن، جلست فوق أريكة حمراء في الصالة أمامي

لوحات فنية مختلفة الألوان والأحجام، لفت انتباهي لوحة رمادية لفتاة حزينة تحاول الهروب من شخص على وجهه ضحكة شيطانية، شعرت بأن تلك الفتاة تعبر عن أعماقي وإحساسي سألت نزار عنها، قال لي:

- هذه اللوحة رسمتها عندما كنت في الجامعة، نظرت إليه باستغراب:

- لم تقل لي أنك تجيد رسم اللوحات، أجبني:
- لم تأت اللحظة المناسبة لأفصح عن ذلك آسف يا حبيبي
لقد حاولت رسمك عدة مرات لكن لم أنجح في ذلك، سألته
لماذا أجبني:

- لا أعرف ربما أنت بذاتك لوحة فنية حقيقية رسمتك الحياة
فأعطت تعبيرها حسيلا لا يمكن أن يلمس أو حتى أن يمسه بين
الأصابع، قلت له:

- أول مرة أسمع طريقة كلامك هذه، قال لي:
- ستسمعين كل ما تريدين من الآن فصاعدا، سألته:
- إذا ما الغرض من مجيئنا إلى هنا؟ أجبني:
- الغرض من مجيئنا هو أن نتعرف في علي أكثر وعلى أحاسيسي
تجاهك، أنا لست سيئا يا حبيبي كنت وقحا سابقا أريد
مسامحتك قبل أن نبدأ صفحة جديدة مع بعضنا.

نظرت إليه بتمعن هل حقا نزار يقصد ذلك؟ ظللت أحدق به
حتى ظهرت تلك النحلة مجددا، اتجه تركيزي معها لم أعد أشعر
بنزار أثناء وجودها، اقتربت مني تنظر إلي بعينيها السوداوين حتى

شعرت بأنها داخل عقلي، أغمضت عيني، وجدت نفسي مرة أخرى في مكان معتم لا شيء ظاهر أمامي ولا حتى خلفي، مرة أخرى التقيت بسامية ضمتني بقوة ثم همست في أذني:

- ابحثي عني.

فتحت عيني مستلقية فوق الأريكة، كان نزار أمامي يصفعني صفعات خفيفة على وجهي، عدت إلى وعيي، جلست قليلا شربت كوب ماء ثم طلبت من نزار أن أتجول في المنزل قبل أن نتناول العشاء، وافق على ذلك اتجه إلى المطبخ ليعد بعض السلطة اتجهت إلى سلالم المنزل التي تؤدي إلى غرف النوم، اتجهت إلى غرفة كانت هي الأولى على يمين السلالم، دخلت إليها، فتحت الباب اكتفيت بالنظر هنا وهناك تحت السرير في الخزانات كان كل شيء طبيعيا، اتجهت إلى الغرفة المجاورة يبدو أنها غرفة والدي نزار فعلت نفس الشيء بدا كل شيء طبيعيا لكن على المرأة قلادات معلقة لها رموز غريبة لم أفهم معناها من بينها قلادة جميلة لونها أصفر لكن شعرت بشيء اتجاهها، هل القلادة كانت لشخص أعرفه سابقا؟ لم أتعب نفسي في التفكير أكثر خرجت من الغرفة ببطء سرعان ما تذكرت بأن تلك القلادة لسامية أهداها نزار في عيد ميلادها، كيف حصل عليها؟ ولماذا؟ رغبت بأخذها والاستفسار عنها لكن خفت بأن يكتشف نزار أنني أحقق معه وأشك به، أكلني الفضول للبحث أكثر في هذا المنزل اتجهت إلى الغرفة التي يضعون فيها الأشياء القديمة، ترددت كثيرا قدماي لم يعودا احتملان الوقوف أكثر لأن القلق أربكني

بشدة دخلت بخطوات بطيئة، خائفة لكنني استمررت في التقدم أنظر إلى تلك الأشياء المنتشرة والمبعثرة هنا وهناك، كلما تقدمت أكثر أشم رائحة كريهة لم أعرف من أي زاوية في الغرفة تنبعث الرائحة، تقدمت أكثر لمحت كيسا بلاستيكيًا أسود لم يكن مغلقًا، تسارعت نبضات قلبي فتحته بحذر لأكتشف ما لم أتوقعه في حياتي، جثة مغلقة بشريط لاصق، حاولت أن أكتشف أكثر تلك الجثة ظهر لي شعرها الأسود، كانت امرأة متوسطة الطول، بشرتها مائلة إلى الأزرق حتى إن الديدان كانت تخرج من وجه تلك الجثة، أكلني الفضول أكثر لأعرف هوية الجثة، وحدث ما لم يكن في الحسبان تلك الجثة كانت سامية وقفت مصدومة أجهشت بالبكاء لم أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف هل أهرب من المكان دون علم نزار أم أتصل بالشرطة إذا علم نزار بأنني اتصلت بالشرطة سيكون مصيري مثل سامية هل أصبح نزار قاتلا؟ هل كنت مع قاتل طوال هذه المدة ولم أدرك ذلك؟ خرجت من الغرفة سيطرت على دموعي، نزلت السلالم رسمت ابتسامة مزيفة على وجهي كي لا أظهر أي شيء كان العشاء جاهزا فوق المائدة، وجدت نزار جالسا ينتظرنى قدم لي طبق السلطة والابتسامة لا تفارقه، له الجرأة أن يكون مرتاحا ومطمئنا في حين جثة سامية موجودة في البيت طوال هذه المدة، أذكر عندما ودعتها في المطار لم أتجرأ أن أعترف لها أنني سأشتاق لها، كان نزار سعيدا جدا يتذوق طهوه ويتلذذ بكل لقمة ويمدح نفسه، يفعل ذلك من أجل أن يضيف نكهة الطرافة في الحديث لكنني لم أتفاعل مع

كلامه، ظللت صامته أنظر إلى تلك الأطباق المتنوعة من الطعام،
لم أشته شيئاً فسألني نزار فجأة:

- ما بك؟ هل تشعرين بتوعك؟ أجبتة:
 - لا أشعر بالجوع كما أنني لا أشعر أنني بخير رأسي يؤلمني.
- قال لي:

- حسنا اصعدي إلى الغرفة وخذي قسطاً من الراحة يبدو أن
الوصول إلى هنا أتعبك، قلت له:

- من فضلك أريد الذهاب إلى المنزل لا أريد أن أظل هنا.
- ظهرت على وجهه تعابير الاستغراب ثم سألتني:
- لماذا؟ هل اتصل أحد زملاء في العمل؟ هل هناك مشكلة؟
- أم ماذا؟ أجبتة:

- منذ وصولنا لم أشعر بالراحة، قال لي:

- لم أريك المفاجأة بعد بضع دقائق فقط نقضتها هنا
وسأوصلك إلى المنزل.

انتظرت تلك المفاجأة ليس لأنني متشوقة لرؤيتها بل لأنني أريد
أن ينتهي الوقت بسرعة من أجل العودة إلى المنزل، لم أعد أطيع
البقاء هنا، نزار أصبح يشكل تهديداً على حياتي لم أعد أشعر
بالطمأنينة أثناء وجوده لكنني في نفس الوقت كنت أفكر كيف
أكشف عن أفعاله وجريمته، لم تخطر في بالي فكرة محددة
شعرت بتفكيري توقف و شعوري بالخوف يزداد، أتى نزار حاملاً
في يديه صندوقاً متوسط الحجم وضعه فوق الطاولة طلب مني أن
أفتحه لكنني ترددت أن تكون هناك مفاجأة سيئة لأن انطباع نزار في

ذهني أصبح انطباعا سلبيا، فتحته بحذر كان بداخله فستان أبيض
لم أفهم ماذا كان يقصد بذلك، سألته:

- ما هذا؟ هل هذا فستان زفاف؟

ابتسم لي ثم قدم لي خاتما، أمسك يدي وضع الخاتم في
إصبعي، شعرت بالندم لأنني قبلت المجيء إلى هنا، قال لي:

- هذا الخاتم جميل في يدك هل تقبلين الزواج بي، أحبته:

- أوافقك الرأي أنه جميل لكنني لست مستعدة للزواج بك

قال لي:

- كنت أخطط إلى هذه المناسبة منذ مدة أرجوك دعينا لا

نفسد اللحظة الجميلة ونسى ما مر من مشاكل وضغوطات قلت
له:

- أنت يا نزار شخص لا يعرف كيف يتصرف في اللحظات

الحرجة، عندما كنا في الجامعة كنت معجبة بك حقا لكن الحياة

علمتني أن كل شيء يتغير مع مرور الوقت، قال لي:

- لكن مرور الوقت لم يغيرني اتجاهك، أحبته:

- لم يغيرك اتجاهي لكنه غيرك اتجاه آخرين وأولهم صديقتنا

سامية هل تساءلت كيف حالها هل سألت نفسك ماذا فعلت

اتجاهها كصديق، نعم لم تفعل، أجابني:

- سامية كانت تخطط أن تفسد علاقتنا لكنني أوقفها عند

حدها، أحبته:

- أدركت أنها كانت فقط تريني كيف تظهر على حقيقتك سامية صديقتي وأعرفها جيدا لكن أدركت ذلك متأخرة أريد أن أسألك سؤالاً واحداً أين سامية؟

استغرق 15 دقيقة يحدق بي، نظراته كانت ممزوجة بين الغضب والندم كأنه يريد أن يفعل بي مثلما فعل بسامية لكنه مسيطر على أحاسيسه، كسر الصمت ثم قال بنبرة هادئة:

- سامية توفيت منذ مدة أخفيت ذلك عنك لأنك لم تكوني مستعدة نفسياً لتلقي أي خبر مشؤوم، قلت له:

- أدري، لكنني انتظرتك كي تقولها لي بنفسك.

شعرت بالحزن الشديد، شعرت بقلبي يؤلمني لما آلت إليه الأحداث، ذرفت دموعاً فاقترب مني لكنني رجعت خطوتين إلى الوراء لم أرغب باقترابه مني، سألته:

- كيف ماتت؟ ومن أخبرك بموتها أجبني:

- والدها أخبرني بذلك تعرضت لحادث سير خطير.

خرجت من المنزل دون أن أنطق بأي كلمة، وقفت بالقرب من السيارة تبعني، فتحت باب السيارة، جلست أنتظره أن يوصلني إلى المنزل، ظل ينظر إلي بنظرات لم أجد لها تفسيراً، نظرات مريبة، أبعدت عيني عليه، دموعي لم تجف طوال طريق، مر على ذاكرتي ذلك الماضي الجميل الذي لم يكن فيه لا حزن ولا معاناة، شعرت بالحنين إلى تلك الأيام البريئة والسادجة، قارنتها مع حياتي الحالية، حياة تعيسة ومتشائمة لم يعد فيها طعم العيش،

لم أشعر بالمسافة التي قطعتها حتى أدركت بأني وصلت أمام منزلي، سألته:

- هل ستعود إلى ذلك المنزل؟ أجبني:

- نعم سأعود لأنني سأعرض شقتي للبيع.

دخلت المنزل مهرولة، لم ألتفت خلفي أبدا، فتحت باب المنزل بتوتر دخلت بسرعة وأغلقت بإحكام، لم أنم طوال الليل سهرت أفكر كيف أكشف عن جريمته، لم أشعر بمرور الساعات حتى بزغ الفجر، أسمع زقزقة العصافير على شرفتي أخرجت صندوق حاجاتي القديمة كان من بينها هاتف قديم الطراز، أدخلت شريحة قديمة اتصلت بالشرطة حاولت التلاعب بنبرات صوتي قدر الإمكان، أخبرتهم بعنوان المنزل وبأن هناك جثة والمجرم موجود هناك ثم أغلقت الخط مباشرة كعادتي استحممت تناولت فطوري غيرت ملابسني ثم ذهبت إلى العمل وكالعادة أيضا أحبي زملائي وأشرع في العمل، ضغط العمل ينسي هموم الدنيا بأكملها وكان ما حصل البارحة لم يعد موجودا أصلا، هل لأنني تجاوزت الأمر أم لأنني تغيرت كليا فلم أعد تلك المرأة التي تنكسر على أقل شيء، أصبحت صلبة ولم أعد هشة كالسابق لأن كل دمة سقطت من عيني كانت تقوي شخصيتي، ذلك الانكسار الذي كان في الماضي أصبح الآن انتصارا، رغم التعب الذي أحصل عليه في نهاية اليوم إلا أنني أكون راضية. رانيا تلك الزميلة البشوشة تمر إلى مكثبي بين اللحظة والأخرى ولكن هذه المرة دخلت إلى مكثبي بتعايير وجه جدية سألتني:

- هل سمعت آخر الأخبار؟

لم أجبها لأنني تفاجأت بدخولها وسؤالها أيضا، قالت لي:

- لقد وجدوا جثة في بيت أحدهم وذلك الشخص كان ينتمي

إلى طائفة معينة يُقدّم على قتل ضحاياه بوحشية، سألتها:

- أين سمعت ذلك وأين؟

فتحت هاتفها أرثني ما يروج في مواقع الإعلام وأيضا صورة المجرم الذي وجد داخل منزله، لم تصدق عيني ما رأيته، إنه نزار تم فضحه في كل موقع إعلامي وصحيفة إلكترونية وورقية لأن الناس دائما متعطشة إلى مثل هذه الأخبار والفضائح، الإعلام دائما تأتيه مثل هذه الأخبار الدسمة لكي يكثر القيل والقال من شتى المصادر لكي تعتبر كأنها أخبار تفيد واقع المواطن والمجتمع. لم يتحرك بداخلي أي شيء تجاهه، نال ما كان يستحقه لهذا السبب كان يختفي فجأة ويظهر فجأة، يذهب لعبادة ذلك الشيطان اللعين الذي يعتبره إله.

مر أسبوع على اعتقاله قرأت هنا وهناك عن اعترافاته بأنه كان يضحي بأناس من أجل إلههم، ولم يخطر بباله أي أحد غير سامية، يفسد صورتها أمامي لكي أكرهها وألعنها في غيابها، كان يتلذذ بكرهي لها وبأنها السبب في تفريقنا أنا وهو، كان يمثل دور الضحية باحترافية، أعترف بخطئه وبأن سامية كانت ضحية مستدرجة بالأكاذيب والنفاق، وثقت به لأنه صديق الجامعة وخطيبي حيث كانت تمنى الخير لنا في حياتنا المستقبلية، سامية تلك الصديقة الجميلة والمرحة، أذكر عندما اعترفت في عيد

ميلادي بإحساسها اتجاهي كصديقة وأخت عندما قالت لي بأنها تتمنى لي الخير في حياتي وتتمنى استمرار محبتي لنزار وأن تدوم صداقتنا إلى الأبد، كانت رقيقة وجميلة لكن الحياة انقلبت رأساً على عقب وجعلت آخر أنفاسها جحيماً بين يدي أعز صديق شعرت بالندم لأنني أرغمتها على أن تكون صديقة نزار أيضاً شعرت بالندم لأنني لم أكن أكلّمها في الأونة الأخيرة، كانت معاملاتي جافة وقاسية، ربما كانت تحميني منه، ربما علمت بحقيقته فاضطر إلى قتلها كي لا تفضحه، ظهور النحلة كان معجزة من الله إلي، روحها النقية أتت إلي تحميني من شيطان على هيئة إنسان يحوم حولي كالأفعى، انتظرت باحر من الجمر بما سيحكم عليه وما ستخبره لنا الأخبار والفضائح فقد كنت أتابع كل يوم وكل ساعة اعترافاته أمام العلن وبأنه كان راضياً عما يفعل وما كان يخطط لفعله، رجحت بأني كنت في قائمته السوداء لكن الله حماني منه ومن انتقامه من دون سبب غير أنه أحب إلها شيطانيا ماك را لكن الأكثر خبثاً من ذلك لم يظهر أي شيء طوال تلك السنوات، كل الأسرار كانت مخفية بحذر، تنهدت بعمق لم يعد في حياتي أحد غير نفسي، لم تعد فكرة البقاء وحيدة تخيفني بل أصبحت تسرني، ممتنة لما حصل من أحداث سأقبل وضعي الحالي لأنني سأستمد القوة من نفسي وإيماني بالله.

تمت